287

HARLEQUIN

روايات أحلام

كذبة العاشق

كاتي ويليامز

www.elromancia.com

مرمورية

كذبة العاشق

تعرفت ميرندا إلى لوك في يوم عاصف، حيث دفعت بها الثلوج إلى كوخه بسبب إصابة في ساقها.
وفي بيته واجهت عاصفة أشد...
إذا كنت تظنين أنك ستلعبين دور الأميرة خلال الأيام القادمة، فأنت مخطئة... لأنني لن أحتمل تضييع الوقت على نوبات غضب فتاة صغيرة مدللة!
لماذا أنت عدائي هكذا؟ مجرد عدم امتلاكك المال لا يجعلني أنا مخطئة...
لكن عدائيته لم تعد المشكلة، بل مشاعرها...
فمع مرور الوقت أخذ قلبها يزداد جموحا نحوه. فهل تقبل أن تضيعها مشاعرها وهي تعرف أنها حين ستترك هذا المكان، سيكون قد خرج من حياتها إلى الأبد، ولن يبقى سوى الذكريات والألم؟

لبنان:	3000 ل.ل	البحرين:	1 دينار
سوريا:	100 ل.س	السعودية:	10 ريال
الأردن:	1.5 دينار	مصر:	8 جنيه
الكويت:	750 فلس	المغرب:	15 درهم
الإمارات:	10 دراهم	تونس:	2.50 دينار
قطر:	10 ريال	عمان:	1 ريال

ISBN 9953-15-135-0

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة .Harlequin Enterprises II B.V

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة .Harlequin Enterprises II B.V

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
the Rich Man's Mistress
First published in Great Britain 2002
Harlequin Mills & Boon Limited
© Cathy Williams 2002
Translation © Dar El-Farasha - 2003
ISBN 9953 - 15 - 135 - 0

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - ستر زهرور -
ص.ب: ١١/٨٢٥٤ هاتف/ فاكس: ٠٩٦١-١-٤٥٠٩٥٠- بيروت - لبنان
Email: dfarasha@cyberia.net.lb

كاتي ويليامز

ولدت كاتي ويليامز وترعرعت في الجزيرة التوأم ترينداد وتوباغو. حصلت على منحة دراسية لتتابع تحصيلها في بريطانيا، فالتحقت بجامعة اكستر في العام ١٩٧٥ حيث درست اللغات والأدب، والتقت زوجها، ريتشارد. ومنذ زواجهما، عاشت كاتي في انكلترا، في وادي تايمز تحديداً لتنتقل بعد ذلك إلى ميدلاندز. رزق كاتي وريتشارد بثلاث فتيات.

١ ـ تائهة

توقفت ميرندا ونظرت خلفها، ثم استدارت ببطء. وكان هذا خطأ فادحاً، لأن القلق الذي شعرت به في الساعة المنصرمة، استحال ذعراً شديداً الآن وقد أدركت عزلتها التامة.. لم يكن لديها فكرة أين هي، ولا إلى أين هي ذاهبة.. كل إحساس بالاتجاه ضاع منها وهي تتجه نحو عاصفة ثلجية بدأت الآن في التقدم نحوها بجهد وتردد.. ولتزداد الأمور سوءاً، كان الظلام قد بدأ يخيّم على الأرض المكسوّة بالأبيض، لتصبح مرعبة مخيفة.

أنّت متذمرة، وبذلت جهداً بالغاً لتتذكر أنها متزلجة ماهرة، منذ إحدى وعشرين سنة من عمرها البالغ خمسة وعشرين.. وأنها قادرة على مواجهة هذه الممرات السوداء، والثلج الذي يصفع وجهها كالسوط، ليمنع عنها كل رؤية واضحة قد تساعدها لتحافظ على قدرة احتمالها.

زال الغضب المستعر فيها ليحل مكانه شعور بالشفقة على النفس.

إنها ضائعة، وحيدة، خائفة، ومن المحتمل جداً أن تكون على موعد مع خطر داهم، وكل هذا لأن «فريدي» الذي يدعي إنه صديقها، لم يستطع المحافظة على صداقتها معه. ولم يكن قانعاً بمجرد وجودها هناك معه، بل كان عليه ببساطة أن يتحرش بالفتاة الإيطالية البالغة من العمر ثماني عشرة سنة، والتي عُينت مسؤولة عن الشاليه. والأسوأ من هذا أنه ضبط وهو يفعل

هذا.

كيف يجرؤ على فعلة كهذه؟

استندت ميرندا إلى جذع شجرة وأغمضت عينيها.. عليها أن تأخذ نفساً عميقاً لتحتوي غضبها، وإلا فستصرخ بأكثر ما في رئتيها من قوة، وقد تتسبب على الأرجح بانهيار ثلجي آخر. كانت قبعتها الصوفية مبللة بالثلج، وما كان عليها أن ترتديها أبداً لمجرد أنها تتناسب مع بقية ملابس التزلج، وهي الآن تشعر بالبلل يخترق حتى رأسها.. كانت محمية تماماً بطبقات مناسبة من الملابس، بما فيها قفازات سميكة مضادة للماء.. لكن، إلى أي مدى ستتمكن من البقاء هكذا قبل أن يبدأ البرد باختراق ثيابها بحثاً عن لحمها؟ حدقت، بعينين نصف مغمضتين، في الضوء الذي بدأ يتلاشى، فلمحت مجموعة كثيفة من الأشجار، قد تكون أكثر حماية لها لو أصبح المبيت في العراء هذه الليلة أمراً ضرورياً.

تأوهت ميرندا... لماذا تخدع نفسها وتفكر أنها بمعجزة ما ستجد طريق العودة إلى الشاليه حيث «فريدي» وأصدقائه الخمسة عشر لا بدّ الآن يتناولون الشراب الدافىء ويفكرون ماذا سيكون العشاء؟ هل سيفتقدونها؟ حتى ولو افتقدوها، هل سيفترضون أنها تاهت وتكاد تقنط وسط اللامكان؟ جميعهم من المتزلجين الماهرين، وعلى الأرجح لن يشعروا بالانهيار الثلجي الذي رماها بعيداً عن مسارها.. ومن دون شك، لا بد أن فريدي سيخترع قصة حول جدالهما، وسيعزو غيابها إلى شيء من التشوش البسيط، ومن الممكن جداً أن يفترضوا أنها بحاجة إلى الهدوء وأنها قصدت أحد الفنادق في نوبة غضب. ولسوف تخوّلها بطاقة اعتمادها المالية الدخول إلى أحد الفنادق المنتشرة على المنحدر، لو شعرت أنها بحاجة إلى التفكير، والكل يعرف أنها تحملها دائماً داخل جيب سترتها.

لكن بطاقة الاعتماد المالية لن تفيدها الآن.

ركزت زلاجتيها بسأم واتجهت نحو أجمة الأشجار التي بدأت

تختفي، وأملت ألا يدفعها اليأس إلى ارتكاب حماقة.. مع شيء من الحظ، سوف تصد الأشجار العاصفة الثلجية، أو على الأقل، تبعدها عنها، ولو تكورت على نفسها، لتمكنت من البقاء حية في الليل.. أو ربما تجد ملاذاً في أحد زرائب الحيوانات المنتشرة هنا وهناك، لكنها لن تترك تفاؤلها الزائد يعميها عن الحقيقة الواضحة في أنها قد لا تجد سوى بضع أشجار أخرى.

أصبحت الأرض البرية البيضاء الواسعة تسبح الآن في ظلام مكتمل، ولو لم تكن مركزة جداً على الأشجار وهي لا تزال قادرة على رؤيتها، لما تعثرت ووقعت فوق جذع شجرة مقطوعة، وتدحرجت على المنحدر بلا حول ولا قوة، فانفلت أحد مزلاجيها تلقائياً، وعلق الآخر بقدمها، وحين توقفت أخيراً ببطء، وحاولت الوقوف، انطلق الألم شديداً في كاحلها.

لم تجد المزلاج المفقود الذي سيخرجها من ورطتها. فقد طمره الثلج المتساقط بسرعة وكأنه عود ثقاب، وليس هناك وقت للبحث عنه.

أحست ميرندا بالذعر يوهن عظامها. صرّت على أسنانها، وأجبرت نفسها أن تسير الأمتار القليلة نحو الشجيرات. ودفعت نفسها إلى الأمام تجر قدمها المصابة وتستخدم عكازي التزلج لتستند عليهما.

وكانت على حق.. فالعاصفة بقيت بعيدة عنها، على الأقل، بسبب كثافة الأشجار، وكانت على وشك التوقف للاستراحة حين رأت وميض ضوء يظهر ثم يختفي بين الأشجار.

كانت تشعر بثقل في عينيها، وألم حاد في كاحلها. وقررت أنها لو عادت سالمة إلى موطنها، فستقلب حياتها رأساً على عقب. لن يكون هناك المزيد من القفز من مكان مرح إلى آخر بحثاً عن الإثارة.. لن يكون هناك المزيد من الحياة الاجتماعية الصاخبة.. والتي يدفع ثمنها والدها

الثري، في رفقة أصدقاء أغنياء. ولن يكون هناك أمثال فريدي.. في الواقع، لا مزيد من صداقة الرجال.. وبكل تأكيد لا مزيد من «الأطفال» الأثرياء المفسودين.

أخذ الضوء يزداد ثباتاً.

كانت ميرندا تبكي ترقباً، وقد أصبحت الأشجار أبراجاً سوداء أمامها. اضطرت إلى شق طريقها بألم إلى أن أصبح مصدر الضوء بارزاً أمامها.

لم تكن هذه زريبة حيوانات، إنما كوخاً صغيراً.. والأهم، أنه مأهول.. كانت الستائر مغلقة في الظلام، لكن الضوء المنبعث من الداخل مطمئن.. إنه العون.. وشهقت منتحبة من أعماق حنجرتها، وجرّت نفسها إلى الباب، لتنهار مرهقة بعد أن قرعته.

وكان هذا يعني أن أول ما رأت من منقذها هو خفّه البني القديم. حين تكلم، بدا وكأن صوته صادر من مسافة بعيدة، صوت جميل، عميق.. كانت أكثر وهناً من أن ترفع رأسها لتتفحص وجهه الذي يتناسب مع صوته، لكنها أغمضت عينيها متنهدة وأحست به يرفعها ويحملها إلى نعمة الدفء داخل الكوخ، ويقفل الباب خلفه.

أحست بالراحة بشكل لا يصدق لابتعادها عن البرد.. في الواقع، تساءلت ما إذا كانت تحلم، وما إذا كانت ستفتح عينيها بعد لحظات، لتجد نفسها تحت شجرة تقاوم العاصفة، وما إذا كان الكوخ والضوء والدفء، ليست سوى أوهام خيالية لفكرها الشارد.

ولهذا السبب، أبقت عينيها مغمضتين. وضعها على كنبة عريضة ومريحة بما يكفي لتكون سريراً.

ثم قال لها: «من أنت بحق الله، وماذا تفعلين هنا؟».

وكان هذا أقل من سؤال وأكثر من طلب لتفسير فوري، وفتحت ميرندا عينيها لتجد نفسها تحدق إلى وجه عدواني وإلى عينين زرقاوين

www.elromanca.com

رماديتين كانتا تنظران إليها بمزيج من الارتياب والعداء.

كان يرتدي قميصاً فضفاضاً أزرق مقلماً بالأبيض وبنطلوناً واسعاً، أكل الدهر عليه وشرب.

ازداد الألم في كاحلها أمام هذا الإظهار الغامر للفظاظة.

لم تصادف في حياتها رجلاً عاملها هكذا! وأحست أن فمها تحول إلى العبوس المشاكس مما جعلها لا ترحب بنظرة عينيه الضيقتين النافذتين.

سأل بخشونة: «هل ستردين عليّ؟».

جلست ميرندا، ثم أجفلت وهي تئن من الألم الذي امتد من كاحلها إلى جسمها كله.

ـ قدمي!

جالت عينا الرجل من وجهها إلى قدمها. ولثانية ظنت أنه قد يتجاهل تعبير الألم، لكنه لم يتجاهله. بل أخرج يديه من جيبيه وانحنى ليخلع من قدمها حذاء التزلج ثم تمتم شيئاً بدا لها وكأنه السباب حين رأى كاحلها المتورم.

ـ ماذا حدث؟

وأخذ يتفحص باهتمام موضع الألم. وإذ ارتاحت ميرندا من عدم مراقبة العينين الزرقاوين الخطرتين، غاصت إلى الوراء في الكنبة الوثيرة ونظرت إلى السقف المرتفع.

قالت بصوت ضعيف: «كنت أتزلج.. ووقعت».

تمتم شتيمة أخرى من بين أنفاسه.. وأحست أنها مجبرة على القول: «أنا آسفة».

ـ لا تتحركي، سأعود بعد لحظة.

راقبته يبتعد، فأحست بالراحة لذلك.

هذه المرة الأولى التي تصادف فيها رجلاً يخيفها. كان طويل القامة،

قوي البنية، متجهم الوجه، وتساءلت عما إذا كان قد اختفى ليجد شيئاً يساعدها به، أو عما إذا ذهب بحثاً عن خريطة ليدلها إلى أقرب مكان مأهول، وبهذا يخلص نفسه من وجودها معه.

ظهر أخيراً مع صندوق في يده: «لا أظن أن كاحلك مكسور. . . إنه ملتوٍ بشكل سيء. . . كم المسافة التي سرت بها هكذا؟».

قطبت ميرندا: «منذ ما يقرب النصف ساعة، كما أعتقد. .».

وفتح الصندوق ليخرج منه رباطاً.

قالت: «اسمع. . لست مضطراً لفعل هذا. . أنا قادرة على العناية بقدمي».

ـ مثلما أنت قادرة على التزلج دون أذية نفسك؟ أنتم المبتدئون يجب أن تلازموا السفوح المخصصة للأطفال بدلاً من التزلج بعيداً لمجرد أن الأمر أكثر إثارة.

مزق غلاف الرباط بأسنانه وبدأ يمدده حول كاحلها ببطء وخبرة.

قالت بجفاء: «لست مبتدئة. . أنا متزلجة ماهرة».

نظر الرجل إليها بسرعة وعدم تصديق قبل أن يعود إلى عمله، وشدت ميرندا على أسنانها بقوة. . قد يكون سيء الخلق، لكنها لن تنزل إلى مستواه. . ثم، شاءت ذلك أم أبت، هو خيارها الوحيد، على الأقل إلى أن تستطيع الاتصال ليحضر أحد ويأخذها. .

سألت: «كيف تعرف أن قدمي غير مكسورة؟».

نظر إليها مجدداً وقال باقتضاب: «لأنني أعرف».

ـ أنت طبيب إذن، كما أفهم؟

ـ لا. . لست طبيباً.

ـ إذن من، وماذا أنت؟

لم يرد، وبدلاً من ذلك أنهى عمله، بينما كانت تغلي من الداخل بسبب توترها المتصاعد لتصرفه. . حين انتهى، وقف، وسار نحو المقعد

الأقرب إلى النار.

انتزعت القبعة الصوفية، فانسكب شعرها الأشقر الطويل فوق الكنبة وكأنه ملاءة من الحرير الأصفر.

ـ ألن ترد عليّ؟

ـ دعينا نوضح أمراً. . أنت في منزلي. . وأنا من سيطرح الأسئلة. . مفهوم؟

نظرت ميرندا إليه فاغرة الفاه. فأكمل: «حين أنتهي من طرح الأسئلة، وأرضى عن الأجوبة، يمكنك الاستحمام وارتداء شيء من ملابسي».

وصدمتها عجرفته بقوة ساحقة، تركتها عاجزة عن الكلام.

ـ قبل كل شيء، أخبرني كيف حدث أن تزلجت هنا. . هل لديك فكرة كم أن المنحدرات العمودية خطرة في هذا المكان؟

ـ أنا. . علقت في انهيار ثلجي.

ـ أين؟

ـ أين. . ماذا؟

ـ أين كان هذا الانهيار؟

ـ قرب منتجع ڤال دوليسور. . أنا. . حدث جدال مع صديقي. . و. . خرجت لأتزلج كي أبعد تفكيري عمّا جرى، حين حدث الانهيار. لم يكن كبيراً، لكن بما يكفي ليبعدني عن مساري. .

تمتم بقسوة: «أيتها المرأة الحمقاء».

تجاهلت ميرندا المقاطعة. . لو كانت تسيطر على قدميها لخرجت فوراً من كوخه الحقير، حتى ولو كان البديل ليلة في العراء. لكن، لسوء الحظ لم يكن الخيار متوفراً، وكتمت غيظها، لتكمل: «قبل أن أتمكن من معرفة طريقي، وجدت نفسي عالقة في عاصفة ثلجية. . وبعد فترة، لم يكن لدي فكرة عن مكان وجودي. . ورأيت مجموعة أشجار، وقررت

أنني سأكون أفضل حالاً في ظلها إذا حدث الأسوأ، واضطررت لقضاء ليلة في العراء.. وكنت متشوقة للوصول إليها بحيث لم أنظر أمامي وتعثرت بجذع شجرة، ولويت كاحلي.. ثم رأيت ضوء الكوخ، فقفزت على قدم واحدة نحوه».

ـ إذن.. لا أحد يعرف أين أنت؟

لم يرق لميرندا هذا السؤال، فرفعت نفسها على مرفقيها ونظرت إليه متوترة. وخطر لها فجأة أنه يمكن أن يكون «أياً كان» وهذا أمر تغاضت عنه عندما شعرت بالراحة لإنقاذها من الثلج وتوقعها للدفء.

ولم يكن «أياً كان» تستطيع مقاومته لو اضطرت لهذا. صحيح أنها طويلة القامة، لكنه يفوقها بثلاثة أو أربعة إنشات، كما أنه قوي البنية، مفتول العضلات.

حين التقت عيناه الزرقاوان بعينيها، أحسّت بأنه قادر على قراءة كل فكرة تمر في بالها.

تنحنحت ميرندا تجلو صوتها: «إذاً.. هل أجبت على كل أسئلتك بطريقة مرضية؟».

ـ أوه. لم أطرح بعد السؤال الأهم..

وابتسم ببطء، يشبك أصابعه في حجره، ويمدد ساقيه الطويلين أمامه.

ـ وما هو؟

ـ اسمك..

صرّت ميرندا على أسنانها غيظاً.. لقد رأى دون شك الارتباك على وجهها، وقرر أن يلهو قليلاً على حسابها، وأن يتلاعب بأعصابها.

ـ ميرندا.. ميرندا ناش.

ـ ناش..

وأمال رأسه الأسود، فهزت ميرندا رأسها بشدة: «هذا صحيح، ربما

سمعت بوالدي.. اللورد جوفري ناش».

وبدا من صوتها أن لو حدث لها شيء فهناك عواقب خطيرة يجب أن تُدفع.

ـ لورد جوفري ناش، لا غيره..

ـ لقد سمعت به إذن؟

ـ وهل قلت هذا؟

وضحك ضحكة تسلية، أزعجتها لسبب ما.

ـ هل هناك هاتف هنا أستطيع استخدامه؟

هز كتفيه العريضتين: «الخطوط مقطوعة كلها».

وتابع النظر إليها، ولو بشيء من التساؤل هذه المرة.

ـ الشكر لهذه العاصفة. ولا أتوقع أن تعود قبل بعض الوقت، النشرة الجوية لم تكن جيدة، للأسبوعين القادمين.

ـ أسبوعين قادمين؟

ـ لحسن الحظ معي هاتف نقال.

ورفع حاجبيه معبراً..

حملقت ميرندا به.

ـ هل لي أن أستعمله؟

وأضافت حين لم يتحرك: «أرجوك؟ أريد الاتصال بأبي لأعلمه أنني بخير وأقول له أن يتصل بفريدي وبقية الأصدقاء، الذين قد يقلقون..».

ـ بكل تأكيد..

وانحنى أمامها ساخراً، مما جعلها تشد أكثر على أسنانها، وقدم لها متباهياً جهاز هاتف خلوي صغير الحجم.

طلبت ميرندا رقم مكتب أبيها بسرعة، وبعد ثوانٍ، توصلت إليه.

وأخذت تبتسم وهي تصغي إلى ردة فعله المذعورة إزاء الموقف الذي هي

www.elromancia.com مــرمـوره

فيه، والذي قللت من أهميته قدر الإمكان. هي ووالدها عضوان بارزان في المجتمع الراقي.. كان شغوفاً بها وهي تحبه كثيراً.. مما دفعها إلى إغفال ذكر سبب ورطتها، خاصة الجدال مع فريدي، الذي يشير إليه والدها باحتقار على أنه ولد مخنث أحمق، لديه مال أكثر مما لديه دماغ.

قال الأب عبر الهاتف بصوت خشن: «ومن هو هذا الرجل الذي تقيمين معه الآن؟».

ووضعت ميرندا يدها فوق سماعة الهاتف لتسأل عن الاسم.

تقدم إليها ومد يده: «أعطني الجهاز».

بعد ثوانٍ من التردد أعطته الهاتف وكرهت طريقة كلامه بصوت منخفض، حتى أنه تجرأ على الخروج من غرفة الجلوس بحيث تبخرت كل فرصة لها لاستراق السمع..

ماذا يمكن أن يكون قد تحدث مع أبيها؟ ولهذه الفترة الطويلة؟ وانتظرت فارغة الصبر ليعود، وحين عاد، انتزعت الهاتف منه لتودع والدها، ثم وضعت الجهاز الخلوي على الطاولة قربها.

سألت بارتياب: «عمّ كنت تحدث والدي؟ وما هو اسمك؟ لماذا لم تقل لي؟».

- أنت مولعة بطرح الأسئلة، أليس كذلك؟

ورمى قطعة حطب أخرى في النار. ثم استدار لينظر إليها.

- فكرت أن من الحكمة طمأنة والدك أنك لن تتعرضي إلى أي أذى وأنت هنا، واسمي، على فكرة، لوك دوكروا.

سألته بحدة لاذعة: «وكيف تمكنت من طمأنته؟ هل قلت له كم أنت رجل لطيف ساحر؟».

- أوه.. أعتقد أنه فهم هذا من صوتي.. وقلت له كذلك، إنك ستتصلين به يومياً لإخباره عن صحتك.. الواقع أنني عالق معك، على الأقل، حتى تنحسر العاصفة قليلاً..

- عالق معي؟

نظر إليها طويلاً: «هذا صحيح. أعني، لقد وصلت بحالة سيئة إلى باب داري.. وواجهي الأمر، ليس هناك ما تقدرين على فعله للعناية بنفسك.. أليس كذلك؟ ليس إن كان كاحلك يؤلمك؟».

- أنا لا أنوي أن أدعك تعتني بي.. لذا لا داعي للقلق.

- أوه. هل هذا صحيح؟.. حسن جداً، لن تكوني قادرة على جرف الثلج وتقطيع الحطب.. أليس كذلك؟

- أنت تعرف أنني لا أستطيع ذلك.

- وماذا عن التنظيف؟

نظرت ميرندا حولها للمرة الأولى منذ وصولها. كان الطابق السفلي مؤلفاً من غرفة جلوس كبيرة تزيّن جدرانها رفوف كتب منخفضة تواجه الموقد وتتوسطها عدة مقاعد قديمة إضافة إلى الكنبة التي كانت جالسة عليها. عبر الباب المفتوح، لمحت مطبخاً، وغرفتين أخريين، وسلماً خشبياً يقود إلى فسحة مسقوفة تؤدي إلى عدة غرف، على الأرجح غرف للنوم.

سأل بهدوء: «أنت لم تحملي يوماً منفضة غبار، أليس كذلك؟».

وأجفلت.. فأكمل: «وماذا عن الطبخ؟ هل يمكنك أن تطبخي؟».

- أعتقد هذا.

- تعتقدين؟

- أنا.. لم أحتج يوماً للطبخ، أيثيل تعنى بي وبأبي..

كان كلامها غير مناسب بشكل يثير الإشفاق. ورفعت شعرها إلى الوراء، لتنظر إليه.

- أعتقد أنني أستطيع تجربة فعل شيء في المطبخ، لا أظن الأمر صعباً.

سألها لوك بفضول ساخر: «وماذا تعملين؟».

www.elromancia.com

ـ أنا . . تعلمت الديكور الداخلي . . إذا أردت أن تعرف .

ولو أنها لا تملك سوى خبرة قليلة في هذا المجال، وأحست بوخزة ذنب . كان والدها قد موّل دراستها ووفر لها بعض الزبائن، لكن حماستها سرعان ما تلاشت، وأدركت أنها لم تفعل شيئاً لتتقدم بمستقبلها العملي منذ سنوات . فالنشاط الاجتماعي لم يترك لها كثيراً من الوقت للانصراف إلى العمل الجاد، كما أن عدم احتياجها لكسب معيشتها، أبعدها كثيراً عن العمل .

ـ لا بد أن هذا يأخذ كثيراً من وقتك . . صحيح؟

ـ وهل سألتك عن عملك؟

أحست بحاجة إلى الدفاع لإدراكها أنه لو عرف الحقيقة عن نمط حياتها المتكاسل، فلن يتأثر كثيراً .

رد عليها بهدوء : «إذن، فهو لا يأخذ من وقتك، كما أفهم» .

ـ لم أقل هذا!

ـ أوه . . عدم ردك يقول لي إنك لا تقضين أيامك في كسب العيش كمصممة ديكور داخلي، وهذا يقودني إلى الاستنتاج أنك في الواقع لا تفعلين شيئاً في حياتك ما عدا . . ماذا . . اللهو؟ عطلات مرحة مع مجموعتك الخاصة؟ أعرف نوعك .

ردت ميراندا لأجل الجدال فقط : «الاستمتاع بالحياة أمر مهم» .

وقف إلى جانبها : «من الأفضل أن تغيري ملابسك» .

وساعدها على الوقوف، وهي مساعدة قبلتها على مضض .

ـ يمكنك استعارة بعض ملابسي، ولو إنها على الأرجح ليست من مستواك، ثم سأحضر شيئاً تأكله .

تمتمت بحسن أخلاق : «شكراً لك» .

كلما كانت تحاول الوقوف على قدمها المصابة كانت تشعر بجسمها كله يرتجف . صحيح أن الرباط جعلها تشعر أنها أفضل حالاً، أو على

الأقل جعلها تظن ذلك، لكنها ستبقى عالقة في هذا الطقس السيء مع هذا الرجل الذي لا يحتمل والذي ينتقل من العداء إلى الازدراء كلما تكلم معها . نظرت عبر النوافذ الصغيرة، ورأت الثلج يعصف في الخارج، وسمعت صوته كذلك . . إنه كابوس .

قال بعفوية : «لا تتكبري كثيراً على طلب العون» .

تعلقت بعمود السلم تحاول رفع نفسها، ونظرت إليه غاضبة . وواجهتها عينان زرقاوان أكثر عمقاً وأكثر حدة من لون عينيها الزرقاوين . كان حاجباه أسودين كلون شعره القاتم . لكن، وهي قريبة منه هكذا، لاحظت أهدابه الكثيفة والطويلة والجذابة بشكل غير متوقع .

قالت وهي تشيح بنظرها : «إذا كنت لا تمانع . .» .

ورفعها عن الأرض ليحملها على السلم وكأنها ريشة في الهواء . . موجة إرهاق شديدة اكتسحتها، واضطرت إلى المقاومة لتبقي عينيها مفتوحتين .

أحست براحة شديدة لمساعدته لها . وعلى عكس معظم الرجال الذين عرفتهم، لم تكن رائحته تفوح عطراً فاخراً، بل شيئاً أكثر رجولة وحدة . ولا بد أن يكون هكذا إذا كان يعيش هنا ويقضي حياته يقطع الحطب ويتزلج .

دفع باباً بقدمه : «هناك حمام واحد» .

ثم أنزلها على كرسي قرب المغطس .

ـ لذا احرصي على أن تتركيه كما وجدته . فأنا لا أنوي تنظيفه بعدك .

ومن دون أن يزعج نفسه وينظر إليها مجدداً، بدأ بملء المغطس، وتفحص حرارة الماء بيده، مقرفصاً قرب المغطس بحيث كشف قميصه عن بشرة قاسية سمراء .

استدار نحوها : «الأفضل أن أساعدك في خلع ثيابك» .

أيقظتها هذه الجملة من تفكيرها : «لا . . شكراً لك!» .

ـ أتعنين أنك قادرة على هذا بنفسك؟ وبهذا الكاحل المصاب؟

ردت متصلبة: «أنا ممتنة لأنك أنقذتني . . لكن، لو وضعت إصبعاً علي، أقسم أن أصرخ حتى يتهدم هذا المكان».

ـ أوه . . حقاً!

مال ناحيتها بأسرها بنظراته، فانكمشت فوق المقعد وكأنها عصفور وقع ضحية صياد . .

ـ ومن تظنين أنه سيسمعك؟ لكن . .

وبالسرعة التي مال بها ناحيتها، تراجع عنها ونظر إليها بقلة احترام مهينة .

ـ . . غزو خصوصياتك أمر بعيد جداً عن طباعي . . فقط تأكدي من تنظيف المكان، فأنا لا أريد أن أجد شيئاً مثل هذا . .

ورفع خصلة من شعرها بين أصابعه بحيث انتشر الشعر الناعم الأشقر على معصميه: « . . فالشعر يسد ثقب التصريف» .

لزمها ساعة لإكمال حمامها . . نضالها للتخلص من ملابس التزلج، كان عملاً بطولياً يماثل الجري في خمسة سباقات متواصلة . . ثم حين رأت أخيراً أن جسمها سوف يترهل لكثرة تعرضه للماء، خرجت من المغطس لتواجه إهانة أخرى في الصراخ بأعلى صوتها من رأس السلم وروب الحمام يغطي جسمها كله وشعرها يتدلى مبللاً على وجهها .

قالت له حين ظهر أخيراً عند أسفل السلم ومقلاة في يده: «أتساءل عما إذا كان بالإمكان أن أستعير تلك الملابس التي ذكرتها؟» .

ـ أنا آسف . . ماذا؟

ـ سألت ما إذا كان بالإمكان استعارة تلك الملابس التي ذكرتها؟

لا بد أنه يعرف كم تشعر بالإرباك وهي تقف أمامه هكذا . لكن، إما أنه لم يكن يهتم، أو أنه يتمتع بصراحة بانزعاجها . . أو الاثنين معاً .

ـ سمعت هذا الجزء، وأنا أنتظر أن تنهي طلبك .

ـ من فضلك .

ـ هكذا أفضل .

ووضع المقلاة على طاولة خشبية صغيرة عند أسفل السلم، واتجه نحوها قائلاً: «يمكنك استخدام غرفة النوم الإضافية» .

ودفع باباً ليكشف عن غرفة صغيرة مريحة، لها موقد خاص بها . كان هناك فسحة بالكاد تكفي لسرير منفرد، وطاولة زينة لها مرآة، وخزانة أدراج . استندت ميرندا على إطار الباب لتنظر حولها، كانت معتادة على النوم في سرير مزدوج . . حتى وهي تقيم في الفنادق، كانت تصر دائماً على سرير مزدوج، مهما كلفت الغرفة من مال إضافي . السرير المنفرد كان يذكرها بالمستشفيات، والمستشفيات تذكرها بأمها التي ماتت في إحداها حين كانت لا تزال طفلة .

بالنسبة لرجل ضخم، كان يتحرك بسرعة مربكة: «أليست غرفة جيدة بما يكفي لسيدتي؟» .

واستدارت لتواجهه، ووجدت كومة ملابس تُرمى بين يديها .

قالت: «لا بأس بها . . شكراً لك» .

ـ جيد . . لأن السرير الوحيد الكبير هو في غرفتي، ولضيافتي الزائدة حدودها . والآن، هل تتفضل سيدتي بالدخول؟

وقف متراجعاً إلى الوراء وقال وهو ينظر إليها: «والآن . . يمكنك تغيير ملابسك، سأعود بعد ربع ساعة وأحضر لك ما تأكلينه . . سيدتي» .

وانحنى لها بتحية ساخرة .

ـ هل يمكن أن تتوقف عن مناداتي هكذا، أرجوك؟

اتسعت عيناه الزرقاوان بتعبير بريء سخيف: «سيدتي؟ لكن، لماذا؟» .

ـ لأن هذا ليس اسمي .

ـ أتعنين أنك قادرة على هذا بنفسك؟ وبهذا الكاحل المصاب؟

ردت متصلبة: «أنا ممتنة لأنك أنقذتني.. لكن، لو وضعت إصبعاً علي، أقسم أن أصرخ حتى يتهدم هذا المكان».

ـ أوه.. حقاً!

مال ناحيتها بأسرها بنظراته، فانكمشت فوق المقعد وكأنها عصفور وقع ضحية صياد..

ـ ومن تظنين أنه سيسمعك؟ لكن..

وبالسرعة التي مال بها ناحيتها، تراجع عنها ونظر إليها بقلة احترام مهينة.

ـ .. غزو خصوصياتك أمر بعيد جداً عن طباعي.. فقط تأكدي من تنظيف المكان، فأنا لا أريد أن أجد شيئاً مثل هذا..

ورفع خصلة من شعرها بين أصابعه بحيث انتشر الشعر الناعم الأشقر على معصميه: «.. فالشعر يسد ثقب التصريف».

لزمها ساعة لإكمال حمامها.. نضالها للتخلص من ملابس التزلج، كان عملاً بطولياً يماثل الجري في خمسة سباقات متواصلة.. ثم حين رأت أخيراً أن جسمها سوف يترهل لكثرة تعرضه للماء، خرجت من المغطس لتواجه إهانة أخرى في الصراخ بأعلى صوتها من رأس السلم وروب الحمام يغطي جسمها كله وشعرها يتدلى مبللاً على وجهها.

قالت له حين ظهر أخيراً عند أسفل السلم ومقلاة في يده: «أتساءل عما إذا كان بالإمكان أن أستعير تلك الملابس التي ذكرتها؟».

ـ أنا آسف.. ماذا؟

ـ سألت ما إذا كان بالإمكان استعارة تلك الملابس التي ذكرتها؟

لا بد أنه يعرف كم تشعر بالإرباك وهي تقف أمامه هكذا. لكن، إما أنه لم يكن يهتم، أو أنه يتمتع بصراحة بانزعاجها.. أو الاثنين معاً.

ـ سمعت هذا الجزء، وأنا أنتظر أن تنهي طلبك.

ـ من فضلك.

ـ هكذا أفضل.

ووضع المقلاة على طاولة خشبية صغيرة عند أسفل السلم، واتجه نحوها قائلاً: «يمكنك استخدام غرفة النوم الإضافية».

ودفع باباً ليكشف عن غرفة صغيرة مريحة، لها موقد خاص بها. كان هناك فسحة بالكاد تكفي لسرير منفرد، وطاولة زينة لها مرآة، وخزانة أدراج. استندت ميرندا على إطار الباب لتنظر حولها، كانت معتادة على النوم في سرير مزدوج.. حتى وهي تقيم في الفنادق، كانت تصر دائماً على سرير مزدوج، مهما كلفت الغرفة من مال إضافي. السرير المنفرد كان يذكرها بالمستشفيات، والمستشفيات تذكرها بأمها التي ماتت في إحداها حين كانت لا تزال طفلة.

بالنسبة لرجل ضخم، كان يتحرك بسرعة مربكة: «أليست غرفة جيدة بما يكفي لسيدتي؟».

واستدارت لتواجهه، ووجدت كومة ملابس تُرمى بين يديها.

قالت: «لا بأس بها.. شكراً لك».

ـ جيد.. لأن السرير الوحيد الكبير هو في غرفتي، ولضيافتي الزائدة حدودها. والآن، هل تتفضل سيدتي بالدخول؟

وقف متراجعاً إلى الوراء وقال وهو ينظر إليها: «والآن.. يمكنك تغيير ملابسك، سأعود بعد ربع ساعة وأحضر لك ما تأكلينه.. سيدتي».

وانحنى لها بتحية ساخرة.

ـ هل يمكن أن تتوقف عن مناداتي هكذا، أرجوك؟

اتسعت عيناه الزرقاوان بتعبير بريء سخيف: «سيدتي؟ لكن، لماذا؟».

ـ لأن هذا ليس اسمي.

لم يزعج نفسه بالرد.. وبدلاً من ذلك اتجه نحو موقد النار الخامد.

ـ المكان بارد هنا.. أليس كذلك؟ لكنني لم أكن أتوقع أحداً، وإلا لأشعلت النار وجهزت الغرفة. من الأفضل أن ترتدي الملابس.. أنت ترتجفين.. سأضع ملابسك المبللة قرب النار في الأسفل لتجف.

ـ شكراً لك.

ـ وسوف أجيء ببعض الحطب إلى هنا، لأشعل هذه النار.

ـ سأكون ممتنة.

شعرت ميرندا بقشعريرة في ذراعيها بعد الحمام الدافىء.. وأكملت: «لا داعي للقلق.. سيد دوكروا..».

ـ لوك.. أرجوك، لمَ لا نرفع الكلفة بيننا، فنحن سنعيش معاً؟

أمال رأسه لينظر إليها من فوق كتفه، وأدركت مجفلة، أن ليس وجهه وحده هو الجذاب، بل جسمه كله.. هو بهي الطلعة يجذب الأنظار. وأبعدت نظرها عنه على الفور كي لا يظن أنها تحدق به.. وقالت: «سيعوض عليك أبي بالكثير لأي إزعاج».

استدار ببطء هذه المرة، لينظر إليها بازدراء يلمع في عينيه الزرقاوين: «هذا مطمئن. وأنت تعتقدين أنني قد أحتاج إلى تعويض.. أليس كذلك؟».

توجهت ميرندا نحو كنبة وتغطت بالثياب التي كانت تحملها.. لو أصر على تجاهل أسنانها المصطكة، وتابع الحديث، فمن الأفضل أن تكون في مكان دافىء.

ـ هذا أمر منصف. لكن معظم الناس لا يرفضون مساعدة مالية.

ضاقت عيناه الزرقاوان وهو ينظر إلى وجهها: «أوه.. يا إلهي. لا بد أنك توصلت إلى هذا الاستنتاج بسبب ملابسي المزرية، أليس كذلك؟».

تابعت ميرندا: «أنا لم ألاحظ حالة ثيابك ولا فكرة لي عن ظروفك المالية.. ولا أعرف بماذا تعمل لتعيش. لكن.. حسن جداً..».

لم تكن نظرته القاسية مشجعة، لكنها أحست أنها مضطرة أن تصل إلى نوع من الاستنتاج على تساؤلها.

ـ .. لا أظن أن هناك أعمالاً كثيرة مربحة يمكن أن تقوم بها في هذا المكان المنعزل.. هل هناك..؟

واختفى صوتها لتصمت بينما تابع لوك مراقبتها بشدة مربكة.

هز رأسه يضحك ضحكة صغيرة: «أنا لا أعيش هنا طوال الوقت يا ميرندا».

وصمت لحظة، وكأنه يفكر بشيء عميق جداً.

ـ في الواقع، أنا فقط أعتني بهذا المكان.. في الوقت الحاضر.

ـ أوه.. فهمت!

وهذا يفسر الكثير، لهجته الإنكليزية مثلاً. إنه على الأرجح من النوع الذي يهيم على وجهه، ويشق طريقه حول العالم ويعمل لدى الناس ليكسب رزقه.

لم يقل شيئاً.. بعد بضع دقائق أشرقت أساريره وهز كتفيه: «سآتيك بشيء تأكلينه، وستشعرين بتحسن كبير في قدمك صباحاً».

لم يناديها «سيدتي» مرة أخرى. ولو أنه عوض عن هذا الإغفال بالانحناء لها بفخامة من على الباب، قبل أن يخرج.. لكن ميرندا لم تعد تملك الطاقة لتشعر بالانزعاج، كانت نعسة جداً. فارتدت ثيابها وقررت أن ترتاح قليلاً على الكنبة قبل أن ترتدي ملابسها وقبل أن يعود مع الطعام.

***

٢ ـ سخرية وكبرياء

كانت الغرفة دافئة. وكان هذا أول ما لاحظته ميرندا حين استيقظت.. ثم أدركت أنها في السرير. وانفتحت عيناها فجأة وقد فقدت الحس بالمكان والزمان، ثم عادت إليها الذاكرة بقوة صادمة. وملأت رأسها صورة وجه لوك الساخر.

وكأن الفكرة كانت كافية لاستدعائه، ففي تلك اللحظة بالذات انفتح باب غرفة نومها ورآته يحمل صينية بين يديه، ولم يكن النوم قد خفف شيئاً من رجولته الخانقة. أخذت نفساً عميقاً وهو يدخل الغرفة الصغيرة.

ـ إذن.. أخيراً استيقظت.

وتقدم إلى الستائر، وفتحها ليكشف عن نور رمادي، ومنظر الثلج المتساقط.

وضع الصينية على السرير: «الفطور».

ـ منذ متى وأنا نائمة؟

ـ منذ أكثر من عشر ساعات.

ـ أكثر من عشر ساعات!

ـ جئتك بالعشاء لأجدك نائمة تشخرين..

ـ أنا لا أشخر!

سأل ممازحاً: «وكيف تعرفين هذا؟».

وجذب كرسياً ليجلس ويراقبها: «على أي حال، أشعلت النار،

وتركتك».

شبك أصابعه وأخذ يراقبها وهي تقضم التوست، وتلتهم ما في الصحن.. بيض مقلي، لحم، ذلك النوع من الفطور الذي طالما تجنبته.

قال: «بعد أن نقلتك الى السرير طبعاً».

جمدت ميرندا وهي تتناول طعامها، ونظرت إليه: «نقلتني الى السرير؟».

وضع يديه خلف رأسه، ومدد ساقيه وشبكهما قائلاً: «صدمة.. أليس كذلك. هل تظنين أن والدك سيرفض إعطائي المساعدة المالية التي أحتاج إليها كثيراً، لو عرف؟».

ـ هذا ليس مضحكاً!

لقد افترضت أنها انتقلت بمفردها الى السرير، ولو أنها لا تتذكر أنها فعلت هذا. لكنها استطاعت أن تعرف من لمعان عينيه، أنه لا يكذب.. لقد نقلها الى السرير فعلاً.

ـ لم يكن لك حق!

ـ أنا أستميح صاحبة السمو عذراً.. في غرفة رطبة من دون غطاء كان من الممكن جداً أن يسهل إصابتك بالتهاب رئوي.

ـ مع ذلك ليس لك الحق! كان يجب أن توقظني!

ـ سأحاول أن أتذكر هذا في المرة القادمة.. هذا إذا تذكرتِ والتزمتِ السفوح المسموح بها للأطفال كي لا يكون هناك مرة قادمة. أنت لم تأكلي كل البيض.

ـ فقدت شهيتي!

ورمت الشوكة والسكين واستلقت على الوسادة.

ـ من الأفضل أن تحاولي استعادتها. عليك أن تتعافي، وأول خطوة هي أكل هذا الفطور الذي حضرته لك بدقة بيديّ هاتين.

مال إلى الأمام مكملاً: «ربما ترغبين في أن أطعمك ما تبقى..».

www.elromancia.com

صاحت ميرندا رافضة، وأكلت بسرعة ما تبقى في الصحن، ثم مسحت فمها بمحرمة ورقية وكتفت ذراعيها.

قال بعناد وهو يقف ليأخذ الصينية: «والآن».

وانتزع الغطاء عنها، مما جعلها تصرخ بصوت أعلى، وهذه المرة غضباً.

ـ الشيء التالي الذي أنصحك به، هو تمرين قدمك.

ـ أتريد أن تسمع ما سأنصحك به؟

ـ ليس تماماً. هاك.. أمسكي يدي، وقفي.

ـ وإلا ماذا..؟

رد بنعومة: «قد لا ترغبين في معرفة ذلك.. والآن قفي ومرّني قدمك».

وإذ بقيت في الفراش، مال فوقها وقال بصوت خافت حاد كالسكين:

ـ هل لي أن أذكرك أنك متطفلة غير مرحب بها في منزلي..

ـ منزلك؟

ـ طالما أنا أعتني به، فهو منزلي. وإذا كنت تظنين أنك ستلعبين دور الأميرة العظيمة وتتكاسلين خلال الأيام القادمة، أو ربما الأسابيع القادمة إذا لم يتحسن هذا الطقس، فأنت مخطئة، لأنني لا أحتمل تضييع الوقت ونوبات غضب فتاة صغيرة ثرية مدللة!

ـ كيف تجرؤ أن تكلمني هكذا؟

صوتها المرتجف، الذي عكس ارتباكها أكثر من أي شيء آخر، فشل في إصابة الهدف.. أو بالأحرى أصاب الهدف.. فقد انفجر لوك بالضحك.

قال: «أوه.. يا إلهي».

ثم تجهم قليلاً، لكن ليس بالقدر الكافي ليتوقف عن ضحكته الساخرة.

ـ وتعجبين لماذا أناديك سيدتي؟ والآن.. قفي!

نهضت ميرندا على مضض، وأمسكت يده.

ـ حاولي أن تستندي عليها.

ـ لا أستطيع.

ـ حاولي فقط.. وتوقفي عن التصرف كطفلة.

لامست الأرض بقدمها. واكتشفت وهي تضغط عليها أن الألم الذي كانت تشعر به في اليوم السابق، تحول إلى عدم ارتياح مستمر.

ـ سأنزع الرباط قبل أن تغيري ملابسك، وأنقع قدمك بمياه باردة، ثم أربطها مجدداً.

ـ لا حاجة لهذا، أستطيع القيام بذلك بنفسي.

ـ لو تركتك تفعلين هذا، لعشت إلى الأبد أخاف من غضب والدك الانتقامي.

توقفت ميرندا عن سيرها، ورفعت نظرها إليه: «أكره قولك هذا.. لماذا أنت.. شنيع هكذا، وعدائي نحوي؟ أنت لا تعرف من أنا أو أي نوع من الناس! مع ذلك تتكلم بالسوء بحقي وحق أبي.. لطالما قال أبي إن أسوأ أنواع المتعجرفين هم الذين لا يملكون المال. كان يقول دائماً إنهم الأسوأ لأنهم لا يعطونك الفرصة أبداً لتبرهن نفسك بأي طريقة.. إنهم يفترضون أن مجرد امتلاك شخص للمال يجعله مفسوداً..».

ووجدت نفسها تتنفس بسرعة وهي ترفع نظرها إلى عينيه الزرقاوين.

سأل بارتياب: «هل تظنين أنني هكذا؟».

ـ إذاً لماذا أنت عدائي هكذا؟ مجرد عدم امتلاكك المال لا يجعلني أنا المخطئة.

قال بصوت غريب: «لا.. لا أعتقد هذا، ليست غلطتك.. أليس كذلك؟».

بدلاً من أن تشعر بالرضى لنصرها غير المتوقع، أحست ميرندا فجأة

www.elromancia.com مـر مـو ر

بالتوتر لأنها اعتادت بسرعة على عدوانيته، واستسلامه أربكها.

قالت: «أشعر أن قدمي أفضل بكثير».

وغيرت الموضوع بسرعة، مستندة على ذراعه وهما يتجهان ببطء نحو الحمام.

جلست على الكرسي، وراقبته وهو يملأ وعاء من البلاستيك بالماء البارد. وشهقت حين غمس قدمها بالماء: «إنه مجلد».

قال دون أن ينظر إليها: «سوف يخفف هذا ما تبقى من ورم، لا تقلقي، ستعتادين على الحرارة، هاك..».

ورفع قدمها يتفحصها وكأنه جزار يتفحص قطعة لحم: «ليست جميلة جداً. لكن هذا سيساعدك».

ثم أعاد ربط القدم بحذر: «والآن.. هناك غيار من الملابس خلفك على الرف، وقد ترغبين في رفع شعرك، ربما تربطينه إلى الأعلى.. فإبقاء هذا الشعر الكثيف يتأرجح حولك ليس شيئاً عملياً..».

قالت ميرندا بجفاء: «في الواقع.. شعر المرأة هو تاج بهائها».

ـ أوه.. حقاً؟ وأنا الذي كنت أظن أن تاج بهائها هو دماغها.. كم أتعلم منك.

وابتسم لها بتكبّر، وغادر المكان.

وقفت ميرندا بحذر شديد، وللمرة الأولى نظرت طويلاً إلى صورتها المنعكسة في المرآة. كان شعرها الأشقر الطويل مبللاً حين نامت، لكنه جف الآن وانسدل كستارة حرير حول وجهها. راحت تنظر إلى جسمها وتتطلع بتكاسل إلى أجزائه المتناسقة، وفكرت بهدوء أن هذا الجمال الفاتن، قد أدار الرؤوس وفتح أبواباً لا حصر لها.. ولو كانت غير أنيقة وغير جذابة، فهل كانت بمثل هذه الشهرة؟ هل كان الرجال يجهدون لإيجاد طريقهم إلى بابها، مهما كان والدها يملك من مال؟ على الأرجح لا. وللمرة الأولى، أدركت أن جمالها ليس ميزة.. لقد جذبت رجالاً مثل

فريدي، لكن الجمال كان في متناول اليد.. وما من رجل في عالمها الهش، أخذ وقته للبحث عما هو تحت القشرة البراقة.

بسرعة كبيرة، غسلت وجهها وارتدت قميصاً آخر وبنطلوناً اضطرت إلى ربطه بحزام جلدي كان مع بقية الملابس.. ثم نزلت السلم، رافضة طلب المساعدة.

كان لوك في المطبخ ينظف، ولبضع دقائق، وقفت ميرندا عند الباب مترددة، تتساءل عما ستفعل.

قال بجفاء: «اعتبري نفسك في بيتك، فأنا لا أعض».

تقدمت إلى طاولة المطبخ وجلست.

سألت لمجرد السؤال: «كم ستطول مدة هذا العمل في العناية بالمنزل؟».

استدار لينظر إليها بتعبير سريع من الحيرة، ثم صفا وجهه.

ـ أوه.. هذا العمل؟ ليس لوقت طويل.

ـ ثم، أنت سوف..

ـ أتنقل.

ـ تتنقل إلى ماذا؟

إنه بارع في عنايته بالمنزل. كان المطبخ مرتباً، نظيفاً، وأكوام الحطب مقطعة ومكدسة في الزاوية.

قال بغموض: «إلى أشياء أخرى.. أنا عادة أميل إلى قضاء الأيام في العراء. لكن هذه العاصفة الثلجية جعلت الأمر مستحيلاً، لذا من الأفضل أن نتبع بعض الترتيبات كي لا تقفي في طريقي».

اتخذت ميرندا على الفور موقفاً عدائياً.

ـ لن أقف في طريقك. فأنا سأكون أكثر من سعيدة بقضاء وقتي في القراءة.

ـ جيد.

أرجع الكرسي إلى الوراء وجلس بجانبها.

ـ لأن لدي بعض العمل أقوم به على جهاز الكومبيوتر النقال. ولا أريد أن أشعر أنك تنتظرين أن أسليك.

ـ لا أتوقع أن تسليني.

ـ حقاً؟

ـ أنا سعيدة جداً بصحبة نفسي.

وصمتت لتستوعب هذا. وأدركت أنها نادراً ما كانت بصحبة نفسها فقط.

سألت بفضول: «أي عمل يجب أن تقوم به؟ وعلى الكومبيوتر؟ ما كنت لأظن..».

ـ إنني ذكي بما يكفي لاستخدام الكومبيوتر؟ أو ربما كنت تظنين أنني لم أسمع بمثل هذا الجهاز أبداً؟

ابتسم بخبث لاحمرارها غير المريح: «أخبار الاختراعات التكنولوجية تصل أحياناً حتى إلينا نحن الفلاحين.. وتعرفين هذا. في الواقع، أراهن على أنك من لا يعرف شيئاً عن تشغيل الكومبيوتر».

وازداد احمرار وجه ميرندا.

أكمل لوك مفكراً: «همم.. ما من سبب يدعو لإحضار جهاز كومبيوتر إلى هذا المكان.. أليس كذلك؟ أو إلى السباق؟ أو إلى منتجع لبضعة أسابيع خلال الصيف؟».

ـ أنا.. أنا..

ـ أنت.. أنت.. ماذا؟

ـ تعلمت كل شيء عن الكومبيوتر حين كنت أدرس التصميم.

ورفعت ذقنها لتبرز الدفاع في صوتها.

ـ أوه.. أجل. دروس التصميم الداخلي التي أخذتها. حسن جداً. انتظري حيث أنت..

ووقف. راقبته بارتياب وهو يختفي خارج المطبخ، ليعود بعد دقائق ومعه جهاز نقال أسود أنيق.

ـ هاك.. الآن.

وفتحه وضغط بضعة أزرار.

ـ لماذا لا تسلين نفسك بهذا لبعض الوقت بينما أحضر المزيد من الحطب من الخارج.

وتوقف خلفها وانحنى فوقها وراح يضغط عدة مفاتيح إلى أن ظهر رسم هندسي لمنزل على الشاشة.

سألت: «ما هذا؟».

ـ هذا يا عزيزتي المصممة.. منزل.

ـ منزل من؟

ـ أوه.. مجرد منزل صغير يفكر رب عملي في تجديده.. ويعرف أنني أحب اللعب على الكومبيوتر بين حين وآخر. لذا أعطاني هذا الملف لألقي نظرة عليه.

نظرت ميرندا إليه بعينين ضيقتين: «ولماذا يفعل رب عملك شيئاً كهذا؟».

وكان رده سريعاً بحيث تساءلت عما إذا كان قد حضّره.

ـ نحن أصدقاء منذ زمن. إذا حركت هذا الشيء الصغير هنا، المدعو فأرة، يمكنك التجول في المكان كله.

صرّت ميرندا على أسنانها، وسمحت له أن يمرح.. لسوف يضحك أكثر هذا المتعجرف حين تواجهه بأفكارها.

ـ أتعني أنك تعتني بمنزله كل سنة؟

ـ أوه.. أجل.. إنه اتفاق طويل الأمد.

ولم يستقم، لذا حين تكلم لامست أنفاسه خدها وأذنها: «لا بد أنه فكر أنني قد أشعر بالوحدة، وأعلق هنا كما أنا الآن.. فأعطاني هذا الملف

www.elromancia.com

الصغير لألعب به. ولم يكن يعرف أنه سيكون برفقتي صحبة غير متوقعة».

وقف وتابع قائلاً: «بإمكانك فعل ما أردت.. وتصميم ما أردت. فكل شيء قابل للمحو، لماذا لا تدخلين غرفة الجلوس وتسترخين أمام النار، وتُظهرين لي ما يمكنك فعله بهذه اللعبة الصغيرة؟».

قالت، وكأنما لنفسها وهي تستقر فوق الكنبة، والكومبيوتر على حجرها: «أعتقد أنك فعلاً تشعر بالوحدة هنا لأسابيع. وربما أشهر، في النهاية.. كيف بحق الله تملأ وقتك؟».

قال وهو يرتدي سترته: «الوحدة حالة فكرية».

ثم ارتدى جوارب صوفية سميكة وحذاء ثلج ثقيل كان قرب الباب..

وأكمل: «ولا يمكن للمرء أن يملأ فراغه إلا إذا كان في حالة سلام مع نفسه».

ـ حسن جداً.. إذا أردت أن تتكلم في الفلسفة فسأبدأ بعمل التصميم الداخلي هذا. هل هذا ممكن؟

أحست بنفسها تبتسم، وحين نظرت إليه وجدت أنه بادلها الابتسامة.. مما أعطاها أغرب الأحاسيس.

قال: «حين أعود، يمكن أن تتصلي بأبيك، ولو أن..».

وفتح الباب، فدخلت زوبعة ثلج.

ـ.. ولو أنني اتصلت به منذ نصف ساعة.

رفعت ميرندا نظرها إليه، مذهولة بهذه المعلومات المفاجئة، لكن قبل أن تطلب تفسيراً، خرج وأغلق الباب الأمامي خلفه.

لا بد أن والدها المسكين يعتقد أن هذا الرجل مجرد عامل ملتح متوسط العمر له عائلة تسكن في مكان بعيد على السفوح. وسيصاب بنوبة قلبية لو عرف شكل لوك دوكروا. بل في الواقع، سيصاب بعشر نوبات قلبية.. وسوف يجمع كل قوته وينطلق للإنقاذ، ولو أن هذا لم يكن ممكناً، نظراً لحالة الطقس. راحت ميرندا تنظر من خلال النوافذ الصغيرة

إلى السماء المثقلة، والعاصفة الثلجية المستمرة، السماء وحدها تعرف أين هي. وبدا لها منتجع التزلج، وأصدقاؤها، وفريدي الخائف، وكل المقاهي الأنيقة الصغيرة وكأنها حلم.

بدأت تعمل على الكومبيوتر، وبدأت ذاكرتها الصدئة تعود ببطء إلى الحياة. بين حين وآخر كانت ترفع عينيها لتنظر إلى لوك الذي كان يعمل في الخارج ويجرف الثلج قدر الإمكان. وفكرت أنه بكل تأكيد مخلص في عمله.

حين عاد أخيراً، كان يحمل سلة من الحطب المقطع فوق كتفه، رماها على الأرض. ولم يقل شيئاً، بل نظر إليها فقط. ثم خلع معطفه وحذاءه وجواربه. كان شعره الأسود أملساً بفعل الثلج، وتقدم ليجثو أمام النار، وهو يفرك يديه معاً ويمررهما في شعره.

ـ إذن.. أنت لم تضجري بعد من اللهو بالكومبيوتر؟

خلع كنزته ووقف. وبقي مرتدياً قميصاً بالياً وسألها: «ماذا فعلت؟».

وجلس إلى جانبها، فاضطرت إلى المقاومة كي لا تنزلق نحوه، وتلتصق ساقها بساقه.

ـ ليس الكثير.. هل الطقس عاصف في الخارج؟

ـ ما رأيك بالمنزل؟ هل أعجبك؟

أبعدت ميرندا الشاشة عنه، وقد شعرت بالخجل فجأة لعرض جهودها أمامه: «لقد وعدتني أن أستخدم الهاتف النقال لأتصل بأبي..».

تذكرت فجأة ما قاله لها قبل أن يخرج، فقالت بغضب:

ـ.. من قال لك إنك تستطيع الاتصال بأبي؟ وكيف حصلت على رقمه؟ وماذا كان لديك لتقول له، على أي حال؟

ـ أسئلة.. أسئلة.. أسئلة.. ألم تقل لك أمك يوماً إن الرجل حين يعود من عمل شاق، آخر ما يحتاج إليه هو امرأة متذمرة؟

ـ أمي ماتت وأنا في الثامنة من عمري.

ـ أوه. . أجل. . أنا آسف.

ومال إلى الخلف ليريح قدميه. كان قد استبدل الحذاء السميك بالخف العتيق ذاته الذي قابلها به حين وصلت يوم أمس. وفرك عينيه، ثم شبك ذراعيه خلف رأسه، ونظر إليها.

كانت عيناه الزرقاوان آسرتين، تشعرانها بإحساس غريب عندما تنظر إليهما.

قالت تذكره بحدة: «لم تجب على أسئلتي».

ـ أوه. . حسن جداً. . إذا أردت حقاً أن تعرفي، فأنا أحتفظ عادة برقم آخر مكالمة على هاتفي. . وهذا ما فعلته ليلة أمس بعد أن اتصلت أنت بمكتبه. وفكرت أن أطمئنه وأقول له ألا شيء حدث لطفلته خلال الليل. . هاك. . اتصلي به بنفسك الآن إذا أردت.

أخرج الجهاز من جيبه، وأعطاها إياه. . غير أنه لم يسلّمها إياه باليد، بل أدلاه أمامها بحيث اضطرت أن تمد نفسها لتأخذه.

بدا أن والدها مطمئن لمكالمة لوك. وقال ممازحاً: «ربما سيفيدك جداً أن تعلقي هناك لبضعة أيام».

شدت ميرندا جهاز الهاتف بقوة أكثر على أذنها وأمالت جسمها قليلاً لتبتعد عن اهتمام لوك بما كانت تقوله.

تمتمت: «كيف يمكن أن تقول هذا يا أبي ؟».

لكن السؤال لم يلق رداً نظراً لرغبة أبيها في إنهاء المكالمة للذهاب إلى اجتماع. . فسائقه على ما يبدو ينتظره، وعليه أن يسرع، لكنه سيتصل فيما بعد على الأرجح حين يعود إلى المنزل.

قال لوك برياء: «أرجو ألاّ يكون قلقاً جداً عليك».

ومد يده إلى الهاتف ليأخذه منها ويضعه على الطاولة: «لقد حاولت جهدي أن أريح باله. . قلت له إنني أعتني بك جيداً. . حتى أنني قلت له إنني أعرتك جهاز الكومبيوتر كي تسلي نفسك لبضع ساعات».

قالت ميرندا بتكبر: «أنا واثقة أن والدي لا يحتاج إلى شرح مطول منك عن أحوالي».

ـ إذن. . ماذا تمكنت أن تفعلي؟

ـ أنت لم تزعج نفسك بالقول لي ماذا يعني رب عملك «بالتجديد». . هل ينوي هدم جدران؟ أي مواصفات يسعى إليها؟

ـ حسن جداً. . أرى أنك ترتدين الآن قبعة التصميم الداخلي!

قالت ميرندا: «إذا كنت تريد الجلوس هنا لتتسلى، فانسَ الأمر! بإمكانك استرداد لعبتك الصغيرة والقيام بما تريد القيام به. أما أنا فسأقرأ إحدى هذه القصص البوليسية الموجودة على رف الكتب».

جذب لوك الكومبيوتر نحوه، ونظر إلى ما فعلت.

ـ إذن، أنت قادرة على استخدام الكومبيوتر، اقبلي اعتذاري المتواضع لاتهامك بالعكس. .

حين نظرت إليه لم يبدُ عليه الندم. كان يتفرج على الغرف التي صممتها باهتمام ظاهر. . وتمتم: «لا حاجة إلى غرفة طعام كبيرة كهذه».

ـ وكيف تعرف؟ لا تقل لي إنك مقرّب جداً من رب عملك لدرجة أنك تعرف عدد المدعوين إلى حفلاته. . هل أنت واثق أنه رجل، وليس امرأة؟

تمتم لوك بصوت منخفض: «أوه».

وأكمل التفرج على عملها مكبراً بعض الصور: «أنا متأكد تماماً من هذه النقطة».

ـ حسن جداً. . ماذا يريد هذا الرجل أن يفعل بهذا المنزل؟

ـ أعتقد أنه ينوي الانتقال خارج لندن واستخدامه كمركز لعمله. . هكذا أتوقع، وأنا أفترض هنا أنه يريد مكان عمل كبير.

ـ وبماذا يعمل هذا الرجل؟

www.elromancia.com

ـ شيء له علاقة بالأمور المالية . . كما أعتقد .
ـ أتعني أنه لم يضجرك بسرد التفاصيل؟
إنه دور ميرندا الآن لتمزح ، وهذا ما فعلته باستمتاع .
ـ ربما يعتقد أنك لست قادراً على فهم تقنيات هذا العمل .
ـ ما هذا؟
ـ إنه مدخل على شكل قنطرة . لقد غيرت معالم هاتين الغرفتين وربطتهما بهذا المدخل . في الجهة المقابلة يمكنك وضع زجاج ملون يكسر رتابة الجدران الحجرية .
ـ بديع جداً . . ستعجبه هذه اللمسة . أنا واثق . . وما هذا؟
ـ لم أنته من هذا الجزء بعد .
ـ ليس هذا ما سألته .
ـ حسن جداً . هذا الجزء إذا استطعت تصوره . .
ـ هذا أمر صعب نظراً لغبائي . .
لم ينظر إليها ، وبدا واضحاً أنه مستغرق في المهمة التي أوكلها إليها بكل جرأة . .
قالت : «هذه بوابة من الحديد المشغول . . وبإمكانه الحصول على واحدة أصلية . . تفصل الحمام عن غرفة النوم ، بحيث يشعر بمساحة كبيرة» .
ـ خيال جيد .
أقفل الشاشة ، وأغلق الغطاء ، ووقف ليترك فراغاً بارداً إلى جانبها . وضع بتكاسل قطعتي حطب في النار ، بحيث اشتعلت مجدداً ، ونظر إلى رف الكتب واختار كتاباً ، رماه بخفة نحوها .
ـ وما هذا؟
ـ كتاب مطالعة .
ـ وماذا عن عملي التصميمي؟

استند إلى طرف رف الكتب المنخفض ليتفحص وجهها ببرود : «وماذا عنه؟» .
ـ ألا تريدني أن أكمله؟
ـ بالتأكيد . . إذا أردت . لكنني اعتقدت أنك قد ترغبين باستراحة ، بعد كل العمل الشاق .
وابتسم لها ابتسامة متحدية .
ـ والمعنى . . ماذا؟
هز لوك كتفيه العريضتين بعفوية : «قصدت أنك قد تحتاجين إلى قليل من الوقت للراحة ، لتعتادي على التفكير بشيء غير الاستمتاع بأوقاتك» .
نظرت ميرندا إليه بثورة غضب مفاجئة ، إنه لا يستسلم . . أليس كذلك؟ الآن وقد اعتاد على فكرة وجودها هنا لبضعة أيام ، تتطفل على نمط حياته ، قرر أن يمتع نفسه على حسابها . . الأسوأ من هذا أنه آلمها . لا يجب أن تهمها آراؤه بها ، لكنها لسبب ما ، اهتمت . وفكرت بمرارة أن هذا على الأرجح ، يعود إلى اضطرارها إلى تحمل هذه الآراء . . ولن تستطيع الهرب ، لأن لا مكان تهرب إليه .
تمتمت : «هذا غير عادل» .
ـ أليس عادلاً؟ لقد قلت لوالدك إن هذا المكان ليس فندقاً بخمسة نجوم ، وإنني سأحرص على أن تكوني على ما يرام ، وأن أعيدك إليه سالمة . . لكنني أتوقع منك العمل لرد الجميل ، وبدا لي مسروراً . واضح أنه يعرفك أفضل مما تعرفين نفسك .
ـ قلت لوالدي . . ماذا؟ لم يكن من حقك مناقشة أمري مع والدي! من تظن نفسك؟
بدلاً من الرد على لهجتها الغاضبة ، رفع حاجبيه . . وطال الصمت بينهما حتى تقدم إلى أحد المقاعد ، والتقط جهاز الكومبيوتر وفتحه ،

www.elromancie.com

متجاهلاً وجودها. راح يتفحص شيئاً بهدوء على الشاشة ويضغط على لوحة المفاتيح.

صاحت: «هل يمكن أن تصغي إلي وأنا أتكلم معك؟».

لم يبدُ عليه أنه سمع احتجاجها. . وتابع ببساطة ما كان يفعله. . وفي نوبة غضب، وقفت ميرندا. . ولزمها بضع ثوانٍ لتقفز على قدم واحدة وتنتزع مقبس الكومبيوتر لينطفىء.

هذه المرة لاحظ وجودها.

اشتعلت عيناه الزرقاوان غضباً، وأحست بتوتر مفاجىء يسري كالنار في عروقها. ثم وقف وأمسكها بذراعيها بقوة جعلتها تصرخ.

ـ إياك أن تفعلي شيئاً كهذا مرة أخرى. . أبداً! مفهوم؟

وهزها قليلاً، وشعرت كأنها دمية من قماش تحت رحمة ثور غاضب.

ـ لن أتحمل عنادك وكأنك طفلة مدللة حرمت مما تريد كلما أحست أن أحداً لا يوليها الاهتمام!

ردت ميرندا آسفة على ما فعلته: «أنا آسفة. . أنت تؤلمني!».

وأحست بالحرج لتشبيهها بالطفلة المدللة.

تركها، لكنه لم يتراجع إلى الوراء، بل تابع النظر إليها وهي تدعك ذراعيها. وعرفت أنه يقوم بجهد ليكبت غضبه. .

حاولت خرق الصمت فكررت قائلة: «أنا آسفة حقاً».

ـ اجلسي.

كان جمود صوته مهدداً، كما كان هديره منذ دقائق. جلست ميرندا مرتجفة، متوترة لسماع توبيخاته. إنها تستحقها. . انتزاع ذلك المقبس من الكهرباء كان عملاً طفولياً ولا مسوغ يبرر تصرفها الانتقامي لتجاهله، وعدم اكتراثه.

مال إلى الأمام، وأراح مرفقيه على ساقيه: «هذا لن يفيد يا ميرندا. .

أليس كذلك؟ أنت لست طفلة، ويجب أن تتوقفي عن التصرف كطفلة، أحببت هذا أم لا، أنت هنا معي وسوف تتصرفين كراشدة. مفهوم؟».

هزت ميرندا رأسها ببؤس: «أنا. .».

أوه يا إلهي. . إنها تحس بأن عينيها بدأتا تدمعان، وكرهت نفسها لضعفها. . لا تستطيع أن تتذكر آخر مرة بكت فيها أمام أحد، ما عدا والدها. . وهي بالتأكيد لم تذرف دمعة على أي من أصدقائها، ولا استفزها أحد منهم بما يكفي لتبكي في وجوده. ولا حتى حين ضبطت فريدي بالجرم المشهود. . صحيح أن كرامتها جُرحت لكنها كانت غاضبة وليست آسفة.

انتظرها لتكمل كلامها وهي تنظر إلى أصابعها النحيلة، وتحاول ألاّ تشهق بصوت مرتفع.

كل ما استطاعت التفكير بقوله: «أنا. . استمتعت بذلك التصميم على الكومبيوتر».

حاولت استعادة سيطرتها على نفسها وأفكارها، واسترقت نظرة مختلسة إليه، ورأت أنه لا يزال ينظر إليها وكأنه يتأكد أن ما من شيء يمر دون أن يسمعه.

وأكملت بلهجة متحدية: «هذا أمر سهل عليك».

لكن تحديها كان جهيضاً.

ـ ولماذا هو سهل عليّ؟

ـ لأنك. . تبدو سعيداً بحياتك. تنتقل من مكان إلى آخر.

بدا غير مرتاح لما قاله لكن هذا الانزعاج سرعان ما تلاشى.

ـ لدي إحساس أن والدك قلق عليك.

هزت كتفيها. كانت أكثر تعباً من أن تهتم بأن يذكر والدها أو لا يذكره. . ما الجدوى من هذا على أي حال؟ لن تبقى هنا إلى الأبد. .

www.romancia.com

ويمكنها ألاّ تزعج نفسها بهذا الغريب إذا أرادت..

قلد هزة كتفها: «ماذا يعني هذا..؟».

قالت بغير ارتياح: «كل الآباء يقلقون على بناتهم.. خاصة لعدم وجود من يشاركهم ذلك القلق».

- وما الذي تفعلينه بالضبط ليقلق؟

اعترضت: «لا أظنه يتأثر كثيراً بنمط حياتي».

مجرد قول هذا أشعرها بالمرارة. كان اعترافاً لم تقله لأحد في حياتها من قبل.

- يعتقد أنه يجب أن أستقر..

- تعنين.. أن تتزوجي؟

ضحكت للفكرة: «أوه.. يا إلهي.. لا! ما زلت في الخامسة والعشرين من عمري! إضافة إلى هذا، لا أستطيع التفكير بشخص مناسب لهذا الدور، وفي حال فكرت يوماً بالاستقرار مع أي من الفتيان الذين أخرج معهم، لأصيب أبي بنوبة قلبية في الحال!».

قال لوك متشدقاً: «ربما كان عليك أن تفتشي عن رجل بدلاً من فتى».

أشاحت ميرندا بعينيها عن الجسم الرجولي الجريء المتمدد على المقعد.

- أعني بالاستقرار أن أحصل على عمل.

- ولماذا لم تحصلي على عمل؟ أنت موهوبة بما يكفي.

- أنا ماذا؟

- موهوبة.

وابتسم ابتسامة بطيئة متسلية: «لقد أعجبك أن أمدحك.. أليس كذلك؟».

احمر وجه ميرندا، وقالت له برباطة جأش: «أنا لا أهتم بأي حال».

جعلتها تلك الابتسامة البطيئة تشعر بقشعريرة تسري في جسدها.

كانت عيناه لا تزالان مسمرتين على عينيها وهو يقول متمتماً: «جيد.. فآخر ما أريده هو مواجهة التعقيدات».

***

www.elromancia.com

٣ ـ ميرندا على حقيقتها

ولا هي كانت تريد مواجهة التعقيدات.

في الواقع، كل ما كانت تريده هو الخروج من هذا المنزل والعودة إلى لندن.

على أي حال، كان هذا ما أقنعت نفسها به، ولم تضطر إلى مواجهة الحقيقة إلا بعد ثلاثة أيام، عندما عاد لوك من تمرينه اليومي في قطع الحطب، ليعلن أن الطقس قد بدأ يتحسن.

رفعت ميرندا نظرها عن الكومبيوتر، وقطبت جبينها: «ماذا يعني هذا؟».

ـ هذا يعني، يا صاحبة الفخامة، أن العاصفة قد تنجلي.

وتقدم إلى النار وخلع سترته.. وهذه المرة خلع أيضاً قميصه الذي كان مبللاً...

قالت بينما كان دماغها يكافح ليعمل: «لا تناديني هكذا».

ـ آسف.

واستدار ليبتسم بتسلية خبيثة.

قالت بسرعة، وقد ارتاحت حين استدار إلى النار مرة أخرى: «كنت تخبرني عن العاصفة الثلجية».

ـ أوه.. أجل. أظنها ستنجلي.

كان يرتدي بنطلون جينز، ويبدأ يعبث بأزراره.

صاحت بصوت حاد: «ماذا تفعل؟».

ـ أخلع ثيابي.. لقد تعثرت والحطب بين ذراعيّ، ووقعت على وجهي في الثلج.

قالت: «جيد أنك لم تلوِ كاحلك».

لكن أثر التوتر في صوتها لم يحول كلامها إلى مزاحاً كما كانت تأمل. كيف يمكن أن يبدو صوتها مرحاً وهي تجد صعوبة في التنفس؟ هذا مستحيل...

قال: «لن أسبب لك الحرج..».

واستدار دورة كاملة لينظر إليها.

ـ كنت أفضل أن أخلع ثيابي هنا وأتركها قرب النار لتجف، بدلاً من أن ينقط منها الماء أثناء صعودي إلى الطابق الأعلى.. لكن إذا كان هذا يزعجك..

قاطعته بصوت مرتفع حاد: «أبداً!».

وحرصت على النظر إلى وجهه مباشرة، ولو أن نبضات قلبها كانت تتسارع لرؤية عضلاته المفتولة السمراء.

ـ أنا ضيفة غير مدعوة على أي حال. فهيا، افعل ما شئت.

وشغلت نفسها بجهاز الكومبيوتر، فراحت تحدق بخريطة الغرفة التي كانت تعمل عليها.

وتساءلت متوترة: ألا يمكنه الابتعاد عن هنا؟

اختلست نظرة سريعة إلى قدميه، وعادت بسرعة لتنظر إلى الشاشة من دون التركيز عليها.

قال يحادثها: «يبدو أن كاحلك قد شفي تقريباً».

ردت ميرندا من دون أن يفارق نظرها الشاشة: «أجل».

سأل: «على أي غرفة تركزين؟».

www.elromanca.com

تنحنحت تجلو حنجرتها: «على المطبخ. . كما أعتقد».

ـ كما تعتقدين؟

ردت بحدة: «إنه المطبخ!».

وركزت نظرها بشدة في حال قرر أن يتفحص عملها، لكنه لم يفعل. بل ضحك بصوت منخفض واتجه إلى الطابق الأعلى. . فاستعادت شجاعتها وتنفست الصعداء حين عرفت أنه رحل.

ما الذي يعنيه بأن العاصفة الثلجية بدأت تنحسر؟ وضعت الكومبيوتر جانباً، وهي التي أصبحت الآن تألفه وتستخدمه كلما كان متوفراً لها، وسارت ببطء عبر الغرفة إلى النافذة ونظرت إلى الخارج.

كان الثلج لا يزال يتساقط، لكنه كان على حق. فالسماء زرقاء.

ـ لسوء الحظ. .

وجاء الصوت المألوف من خلفها، فاستدارت لتنظر إليه. . كان قد استبدل الجينز ببنطلون أفضل جودة مما كان يرتديه في الأيام القليلة السابقة.

ـ . . الانفراجات في الطقس لا تعني أنك ستتمكنين من المغادرة على الفور، آسف.

ورفع كتفيه بخشونة: «الطريقة الوحيدة للخروج من هنا هي التزلج، وطالما أن كاحلك لم يتعاف بالكامل، أنت مضطرة للبقاء دون حركة».

ـ وماذا عن طوافة؟

ـ ماذا عنها؟

ـ يمكن لوالدي أن يرسل لي طوافة. في الواقع، سيرغب بالتأكيد في. .

لم تكن مستعدة للرحيل. . ليس بعد. وصدمها إدراكها هذا وأربكها.

هزّ لوك كتفيه بلا مبالاة مقفلاً الموضوع. ولحقت به إلى المطبخ. . كان السير لا يزال يتعبها، لكنها لم تعد بحاجة لأن تسند نفسها في كل مكان تذهب إليه. .

تابعت ضغطها عليه وهو يضع إبريق القهوة على النار.

ـ حسناً؟ ما رأيك؟

ـ إذا كنت تريدين ذكر هذا له حين تتصلين به. . فافعلي. . بكل سرور.

تابعت بلوم: «ظننتك ستكون مسروراً لرحيلي. على أي حال، لطالما قلت لي إنه غير مرحب بي».

استدار لوك وجلس على حافة المجلى.

ـ لا بأس بطلب طوافة. . لكنني أعتقد أنه لم يخطر ببالك أن الثلج لا يزال يتساقط وقد تكون الرؤية منعدمة؟ أو ربما خطر هذا ببالك، لكن شوقك للعودة إلى حياتك الصاخبة في لندن، تغلب على أي عقدة ذنب قد تشعرين بها لتعريض حياة الآخرين للخطر؟ آه. . لا. . أرى أن هذه الإمكانية لم تخطر لك أبداً. لماذا يدهشني هذا وأنت المعتادة على تنفيذ ما تريدين؟

ـ ليس معك!

وخرجت الكلمات منها قبل أن تمنعها.

ـ لا. . حبيبتي. . ليس معي.

وقال كلمة حبيبتي بصوت ناعم مداعب ولو أن عينيه كانتا باردتين.

ـ والآن. . الغداء، أعتقد أن الوقت حان لتبدئي باستكشاف ما يمكنك فعله في المطبخ.

بدا هذا وكأنها أمضت الأيام القليلة الماضية من دون القيام بأي عمل مفيد، مع أنها أطاعت أوامره وتأكدت أن الحمام دائماً نظيف وخال من

www.elromancia.com

الشعر الأشقر الطويل، الذي يراه عائقاً على ما يبدو، وكانت غرفتها نظيفة كذلك.

قالت برقة: «ظننتك تستمتع بالطهو.. قلت إنك تحب الطهو لأن آخر شيء تحتاج إليه في حياتك المشغولة المتنقلة، هو امرأة تعتقد أنها يمكن أن تكسب ودك عبر طعامها».

من المدهش أنهما تمكنا من إجراء حديث، من أي نوع كان، نظراً لطباعه الشرسة معظم الوقت.. لكنها أدركت الآن أنهما أمضيا معظم أمسياتهما يثرثران، حتى أنه بدأ يعلمها لعبة الشطرنج، ولو أنه رفض اللعب معها لأنها مبتدئة.

- هل قلت أنا هذا؟

ردت بخبث: «نعم».

قال دون مقدمات: «عليك رفع شعرك إذا كنت ستساعدينني. فالشعر الطويل والطهو لا يتفقان مطلقاً».

- سأفعل.

وهزت رأسها لتبعد شعرها عن وجهها.

- لا.. سأفعل أنا هذا.. اجلسي.

أطاعت ميرندا وراقبته وهو يفتش في درج، ثم يتقدم خلفها.

بدأ يسرّح شعرها.. في المطبخ الصغير، والثلج يتساقط في الخارج.

أغمضت عينيها بينما كان يجمع شعرها كله بيد واحدة، ويسرحه بالأخرى.

سألها بصوت ناعم، وهو يتابع التسريح: «هل يعجبك هذا.. سيدتي؟».

تمتمت ميرندا بشيء من الموافقة. وكان جسمها كله قد استرخى الآن، وذراعاها متدليان إلى جانبي الكرسي، وساقاها ممددتان أمامها.

- وهل لديك امرأة تأتي كل يوم لتفعل لك هذا؟

كان صوته العميق آسراً ومداعباً.. لم تفتح ميرندا عينيها ولو أن فمها انفرج عن ابتسامة.

- إنه رجل في الواقع.. أو بالأحرى رجل قوي كبير عظيم، ضخم الجثة.. يمشط شعري مرتين في اليوم.

- رجل قوي ضخم.. همم.. هل هذا هو النوع الذي يعجبك؟

شعرت ميرندا أنها سعيدة بهذا المزاح الخفيف المنشط.. وتلوّت كقطة تبحث عن وضع أفضل، وشبكت أصابعها بخفة على معدتها.. وهي تبتسم برضى.

قالت مقهقهة: «كلما كان أضخم، كان أفضل. ولسوء الحظ لم ألتقِ بعد بمن يتوافق مع هذا الوصف».

- أتعنين أن فريدي ليس رجلاً قوياً ضخم الجثة؟

كان صوته كسولاً، وفضولياً بعض الشيء، كأنه يمرر الوقت في ذلك النهار بالحديث.

- إنه طويل القامة على أي حال.

- هل تودين إخباري ماذا جرى بينكما؟

- أوه.. الأمر العادي.. ضبطته مع امرأة أخرى، فتاة إيطالية جميلة، سوداء الشعر، بالكاد بلغت الثامنة عشر. كان يجدر بها تنظيف غرفته بدلاً من محاولات التأثير في مشاعر صديقي «السابق».

وشخرت في ضحكة ساخرة: «غضبت جداً.. فخرجت للتزلج، والباقي تعرفه».

- هل أحسست بالغيرة؟

- غضبت.. لكن لا، لم أشعر بالغيرة.. فأنا لست من النوع الغيور.

- أفهم من نبرة صوتك أنك شفيت من تحطم قلبك؟

كان شيء ما ينبئها بأن هذا الحديث الشخصي خطير بطريقة ما.

قالت له وهي تشعر بدوار: «قلبي لم يتحطم. كنت سأقطع صداقتي

مع فريدي على أي حال.. إنه ممل.. ممل.. ممل. ولن تصدق عدد زجاجات العطور التي يصرفها! حتى أنه يجمّل وجهه مرة في الشهر».

ـ وهل حدث وتحطمّ قلب سيدتي؟

تسلل صوته إلى رأسها، وقد بدا لها لطيفاً.

ـ لا.. وأنت؟

ـ حين كنت في الثالثة عشرة من عمري، اضطررت لمواجهة واقع بغيض، وهو أن معلمة اللغة الفرنسية في المدرسة لا تحبني.

سألت مداعبة: «وهل هذا أقرب ما توصلت إليه من تحطم القلب؟».

ـ غريب، أليس كذلك؟ في سن الرابعة والثلاثين، كان يجب أن يكون قلبي قد تحطم ثلاث أو أربع مرات على الأقل.

ـ ربما نمط حياتك الهائم لا يسمح بما يكفي للنساء بالاقتراب منك.

قال مع ضحكة منخفضة: «أوه.. لا أظن هذا أبداً».

وفجأة تراءت لها صورة لوك مع نساء أخريات، وأحست بمرارة تجتاحها وفكرت في كل تلك النساء اللواتي كن على الأرجح مستعدات ليتبعنه حتى آخر الدنيا، لأنه، وكما رأت بنفسها، حين يريد أن يكون فاتناً، يمكن له أن يفتن الطيور من على الأشجار.. كما يفعل الآن تماماً، يهدهدها في هذه اللعبة الصغيرة، حتى تتمكن من الاعتراف أن حياتها العاطفية مشوشة، وطالما كانت هكذا. أمسكت شعرها وقالت:

ـ هل لديك شيء أربط به شعري؟

ـ هل ستفي ربطة مطاط بالغرض؟

ـ ليست جيدة لشعري.. لكن لا بأس بها.

مدت يدها إلى الخلف وربطت شعرها، وأنزلت ساقيها وبقية جسمها إلى الأرض، وكان يجدر بها أن تعود هي أيضاً الى الأرض، لأنه لن يفيدها أن تقع ضحية أي خيال.. ولا أن تتصور أن هذه العلاقة العجيبة التي

وجدت نفسها أسيرة لها، هي حقيقية. فهي ليست كذلك.

ـ كنت ستعلمني كيف أطهو.. ولو أنني لست جاهلة تماماً في هذه الأمور.

ـ ظننتك قلت إن مدبرة منزلكم المخلصة تقوم بكل هذه المهمات الدنيوية.

وسار حول الطاولة بحيث أصبح يواجهها.

أجابت ميرندا بحدة لاذعة: «أنا لم أقل إن الطهو مهمة دنيوية».

على الأقل، عادا الآن إلى السخرية لكنها أدركت بخيبة أمل أنها لم تعد تجد ملاحظاته الساخرة هجومية، فرنة صوته حين كان يناديها «سيدتي» أو «صاحبة الفخامة» تغيرت. ولم تعد عدائية كما كانت حين وصلت، فمتى حدث هذا؟

ـ أوه.. لقد افترضت فقط..

ردت عليه: «هذ لأنك تقضي طوال وقتك تفترض كثيراً!».

ـ لماذا هذا النقد اللاذع المفاجىء يا ميرندا؟ ألم تستمتعي بالحديث معي حين كنت أسرح شعرك؟ أم هل ظننت أنني أقترب كثيراً من ميرندا الحقيقية؟

هذا الرجل يرى الكثير الكثير! ونظرت إليه مشدوهة بعجز، فابتسم مفكراً بمكر ورضى، لوجهها المحمر.

قال: «لست كما تدعين. أليس كذلك؟ أنت تبدين سطحية، لكنك لست كذلك».

ـ نظراً لأوقات فراغك الكثيرة، أعتقد أن لبس لديك شيء تفعله أفضل من التكلم والثرثرة ما إن تجد رفقة!

ضحك، غير عابىء بتهجمها العابث، فأكملت: «أرى هنا حالة مريرة من التشوق للصحبة! وربما كان يجب على صاحب هذا المنزل أن يعطيك كلباً كي تضجره حتى الموت بآرائك!».

www.elromancia.com

انفجر لوك ضاحكاً، وقال حين توقف عن الضحك: «يبدو لي.. أن السيدة تحتج كثيراً».

ردت ميرندا: «ويبدو لي أننا لن نتناول الغداء إذا لم يتوقف رئيس الطهاة المزعوم عن التطفل على حياتي».

كان لا يزال يضحك بعد خمسة عشر دقيقة من هذا، وبعد أن أجبر العابسة التي تحت رعايته على تلخيص مواهبها في الطهو.

قال: «من الأفضل أن تتعلمي الطهو، لو أردت التعويض عن ضيافتي الكريمة، بالاعتناء بي بعد أن يشفى كاحلك».

ـ لم أكن أعلم أن هذا جزء من الاتفاق.

ـ أوه.. ألم تعلمي؟ ربما لم أعبّر لك بما يكفي في هذه الحالة. أحضري بعض البصل من هذه الخزانة.. وهناك ثوم في البراد. سنبدأ بشيء بسيط. املأي أولاً وعاء بالماء ولتضعه على النار ليغلي. وهذا سيتطلب بعض الإبداع لأنك ستضطرين إلى إشعال النار ووضع الوعاء فوقها تماماً.

وأحست ميرندا بحافز يدفعها إلى وضع الوعاء فوق رأسه.

تابع بصوت صبور كمن يخاطب شخصاً بطيء الاستيعاب، مشكوك في ذكائه:

ـ ضعي قليلاً من الملح في الماء، ذرّة بسيطة.

ـ أعرف ما هي ذرّة الملح.

ـ هاك.. جيد جداً.. والآن البصل، قشريه وقطعيه خشناً.

ومرر لها بصلتين. وأزالت ميرندا بجهد القشرة الخارجية.. في الواقع، هذا شيء لم تفعله منذ وقت طويل.

بدلاً من أن يشغل نفسه بشيء مفيد، بقي جالساً يراقبها، شابكاً ذراعيه.

قال معلقاً: «يدهشني أنك لست خبيرة بالطهو بعد أن ذهبت إلى

المدرسة الاعدادية للبنات».

كانت تقشر البصل بشكل أخرق.

ـ ألم يعلموك هناك كل شيء عن المطبخ وحسن السلوك وأهمية إعداد المائدة وأشياء مهمة كهذه؟

ردت ميرندا بجفاء: «لم أذهب إلى المدرسة الإعدادية. أليس لديك ما تفعله عدا الوقوف هنا والنظر إلي؟».

ـ لا.

ـ لا بد أنني فاتنة أكثر مما أظن، في هذه الحالة.

واستدارت تنظر إليه، لتراه مسترخياً واضعاً يديه على بنطلونه... وابتلعت ريقها بتشنج.

سألها: «ولماذا لم تذهبي إلى المدرسة الاعدادية للبنات؟ ظننت أن هذا ضروري للفتيات أمثالك».

ـ الفتيات أمثالي؟

وتوقفت عن تقطيع البصل، واستدارت لتنظر إليه مباشرة، ويدها على السكين.

هز كتفيه: «الشابات الجميلات ممن لديهن مال أكثر مما لديهن عقل».

شدت يدها على مقبض السكين بقوة آلمتها. فقد لذعها كلامه، وعادت إلى البصل تقطعه بغضب، وهي تتمتم حانقة:

ـ والدي لا يحب مدارس إعداد البنات.

ـ رجل حكيم.

ـ سأتأكد من إيصال المديح له. والآن، ماذا أفعل؟

ـ الفطر المعلب، لقد موّنت هذا المكان لمدة طويلة ففي طقس كهذا، لا أستطيع التزلج إلى أقرب دكان.. والآن، اللحم...

كان دماغها لا يزال يدور بعد تحليله المتعالي لشخصيتها.. وأكمل:

www.elromancia.com

«الآن، ضعي الأرز ليغلي. . هل حضرت أرزاً قبل الآن؟».
- وهل كنت أنت يوماً لطيفاً؟
ضحك، وأبعد نفسه عن رف المطبخ كي يضع قبضة سخية من الأرز في الماء الذي يغلي، مع مكعب لحم وبعض المطيبات.
- ومنذ متى أنت مؤهل للكلام عن خلفيتي؟
هذه المرة، كان دورها في مراقبته وهو يطهو.
قالت: «أين تعلمت؟ في جامعة الحياة كما أتصور؟».
هز رأسه: «كامبردج».
- ذهبت إلى جامعة كامبردج؟!
- لماذا يصعب عليك تصديق ذلك؟
ووضع كل الأطباق المتسخة في جرن المغسلة، ورمى لها اسفنجة لتنظف الطاولة. وقال: «لقد جرحتني».
وفكرت: أنت جُرحت؟ وأنا لا، عندما نعتني بملكة إنكلترا!
- ماذا درست هناك؟
- القانون والاقتصاد.
انفجرت ميرندا ضاحكة: «وهل تتوقع مني أن أصدق أنك ذهبت إلى إحدى أرفع الجامعات في انكلترا ودرست القانون والاقتصاد، لتقوم في نهاية المطاف بهذا العمل لملء أوقاتك؟».
- لك أن تصدقي أو لا.
وبدأ في غسل الصحون بخبرة من اعتاد على القيام بأعماله المنزلية. وبعد أن أعطاها منشفة جافة، وقفت على مضض إلى جواره، تجفف الصحون.
وإذ لم تكتفِ بردّه سألته: «لماذا لم تصبح محامياً؟».
لم تستطع أن تصدق أنه يحمل إجازة جامعية، ولو أن أشياء كثيرة بشأنه لم تكن واضحة. مع ذلك، فقد التقت الكثير من الأشخاص ممن لم

يفعلوا شيئاً في حياتهم بالرغم من خلفياتهم الرفيعة المستوى، ما جعلها تتقبل قصته عن العناية بالمنزل.
وأكملت: «أو خبيراً اقتصادياً؟ أو كائناً ما يكون ما يفعله الناس بعد دراستهم الاقتصاد؟».
قال لوك متظاهراً بالبراءة: «شعرت بميل إلى الحياة البسيطة. الهواء المنعش والتجول من مكان إلى آخر».
نظرت ميرندا إليه بارتياب، تتساءل لماذا تشك في كلامه.
وأصرّت: «وفي الصيف؟ إلى أين تذهب؟».
رد على سؤالها بسؤال: «وإلى أين تذهبين أنت؟».
وابتعد ليجفف يديه.
قالت ميرندا بغموض: «أوه. . أحياناً إلى الريف».
- لتستمتعي بلذة التجول واستكشاف الريف البريطاني العظيم؟
احمر وجهها، ورفعت رأسها لتجيب. . لكن لحسن الحظ، وقبل أن يتمكن من انتزاع ردّ منها، تصاعد صوت الغليان من القدر، ونسي تسلسل استجوابه وهو يحاول إنقاذ الغداء. بينما راحت هي تفكر في مجرى حياتها. . ما سبب لها شيئاً من المرارة. لم تستطع أن تصدق أن سنوات حياتها مرت من دون طعم أو نفع أو قيمة. فقد أمضت وقتها تدلل نفسها بصحبة أشخاص سطحيين.
همس بنعومة في أذنها: «سأخاطر بإزعاج أفكارك».
وقفزت مجفلة، فأكمل: «الخبز بالثوم في البراد، ضعيه في الفرن، بينما أحضر زجاجة العصير».
- الآن؟
- شيء غير ملائم في هذا الطقس، أوافقك. . لكنه يتوافق جيداً مع يخنة الأرز.
عاد وأعطاها كوباً: «اشربي واستمتعي. . فمن يعلم؟ قد يتحسن

www.elromancia.com

الطقس غداً، ويتمكن والدك من إرسال الطوافة لإنقاذك.. فتتركين هذا الكوخ البدائي وتعودين إلى قفصك المذهّب».

ردت بحدة، ترفع الكوب إلى شفتيها: «وفي الوقت المناسب تماماً!».

وشربت العصير بثلاث جرعات كبيرة، وجلست على الفور.. ومددت قدميها على كرسي مطبخ آخر قرّبته منها، وتابعت مفكرة: «على أي حال، هذا الكوخ ليس بدائياً، إنه صغير، لكنه مريح. وقد يكون الأثاث قديماً، لكنه من نوعية جيدة».

ـ لاحظت هذا.. أليس كذلك؟

ـ طبعاً لاحظت! هل نسيت أنني أحمل شهادة من كلية التسوق؟

وضحكت وهي تتابع قائلة: «يمكنني أن أحدد النوعية من على بُعد ميل، وهذه ميزة مفيدة.. ألا تظن ذلك؟».

ـ عند اللصوص فقط.

ضحكت ميرندا.

ـ وذلك خيار لن أفكر فيه أبداً.. المرأة اللصة.

ـ شعرك قد يفضحك.. فأنت شقراء ولن تتمكني من الاختباء في الظلام.

وشرب ما تبقى في كوبه ثم أخذ يحضر المائدة فوقفت لتساعده.

ـ يجب أن تقصيه قصيراً وتصبغيه بلون بني.

سكب طبقين من يخنة الأرز، وأعطاها واحداً، ثم جلس قبالتها.

قالت ميرندا وهي تأكل بنهم: «سيروق لك هذا.. أليس كذلك؟».

كانت قد نسيت أمر مراقبة وزنها منذ دخلت هذا المكان.

ـ ما الذي يجعلك تقولين هذا؟

ـ شعري لا يعجبك، هذا كل ما في الأمر.

قال: «كيف تقولين هذا في حين أمضيت ربع ساعة وأنا أسرّحه؟».

كان في صوته تسلية ساخرة، لكن حين تشابكت عيونهما عبر الطاولة، لاحظت أن تعبيره مبهم، وانطلقت فيها رجفة صغيرة.. إنه رجل رائع، وليس مجرد بنية جسدية. هو خشن، فج، جذاب...

وراحت تتساءل كيف سيكون الإحساس بين ذراعيه والشعور بسحر رجولته، كيف سيكون الإحساس بأن تكون الهدف الوحيد لهاتين العينين الزرقاوين الثاقبتين.

قالت ميرندا وعيناها تلمعان بالإثارة: «مصفف شعري يسرّحه. هذا لا يعني أنه يحبه أو حتى يجدني جذابة».

قوبل هذا التعليق بصمت قاتل وبنظرة فاحصة من لوك... وأدركت ميرندا تبدل الجو من دون أن تنظر إليه، فسرت قشعريرة باردة في جسمها.

ـ هذا الطعام ممتاز.. كيف تعلمت الطهو؟ هل علمك أحد؟ هل أخذت دروساً في فن الطبخ بين شهادتي الحقوق والاقتصاد؟

ـ الحاجة أم الاختراع، كما يقولون، ألا تظنين؟

اختلست نظرة سريعة إليه من بين أهدابها، لتجده ينظر إليها، وقالت: «بكل تأكيد».

بحركة سريعة، أفلتت شعرها من الرباط المطاطي، وهزت رأسها مثل مهرة صغيرة.. ثم تراجعت إلى الوراء وتنهدت.

ـ لا أستطيع تناول لقمة أخرى.

في الواقع، لم تكن تكذب. فقد أكلت أكثر من اللازم.

ـ لا فكرة لي عماذا حدث لشهيتي.. لقد أكلت كثيراً منذ كنت هنا، ولا يمكنني ممارسة الرياضة خارج البيت كي أحرق كل ما أكله.

شربت ما تبقى من عصير في كوبها وقالت:

ـ سأعود إلى انكلترا وأنا سمينة جداً، وأضطر إلى قضاء ستة أشهر

متواصلة في ناد رياضي لأستعيد نحافتي.

تلوت في مقعدها لتتفحص بطنها المتنفخ، وأحست أن لوك يتفحصها أيضاً دونما اكتراث.

أحست بإشراق خديها، وأدركت أنها لم تكن سعيدة هكذا من قبل في حياتها.

قالت: «لدي فكرة!».

حين لم يقل شيئاً أكملت: «ألا تريد سماعها؟».

ـ لا أعتقد هذا.

ردت بتكبر: «هذا رد مضجر».

ـ ربما أكون شخصاً مملاً جداً.

وكان كلاهما يعرف أن هذا غير صحيح.. ربما متعجرف، مخيف، مسيطر، لكنه شجاع، حاد، ذكي، وليس مملاً أبداً.

قالت: «أعتقد أننا يجب أن نذهب إلى الخارج.. لقد سجنت في هذا المكان لأيام، وأحتاج إلى قليل من التمرين، وإلى الهواء الطلق.. أنا لم أبقَ مسمرة في مكاني هكذا منذ سنوات، وفي مكان واحد، لا أفعل شيئاً. هل يمكن أن نخرج ونمرح قليلاً فوق الثلج؟ أرجوك؟».

تمتم وهو يقف: «قد يفيدك هذا قليلاً، إذا كنت تظنين أنك قادرة فعلاً على ذلك».

قالت بمرح: «أوه.. كاحلي على ما يرام!».

رفع حاجبيه متسلياً: «لم أكن أفكر بكاحلك فقط».

ـ بماذا كنت تفكر؟

ـ بحالتك النفسية.

كانت ملابس التزلج التي وصلت بها، مطوية قرب النار.. ودون الاهتمام بخلع شيء من ملابسها، لفت مشلحاً حول عنقها، وارتدت سترتها، وجواربها، وبنطلون التزلج، والحذاء الثقيل.. وبعد تفكير،

وضعت قبعتها الصوفية، التي لم يكن اعتمارها فكرة ذكية في الطقس العاصف. لكنها مفيدة للثلج خارج الكوخ.

ثم وقفت تنظر إليه يرتدي معطفه الواقي من الماء.

***

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

٤ ـ ذكرى

بعد الدفء في الداخل، أحست ميرندا بوجهها يخزها من البرد لكنها سرعان ما تأقلمت مع هذا الاختلاف في الحرارة. شقت طريقها مترددة إلى الخارج، وهي كالكسيح الذي يحاول السير للمرة الأولى.

كان الثلج لا يزال يتساقط، ولكن على مهل. لقد قالت لوالدها ذلك الصباح، إنها ستعود إلى البيت خلال أيام. لكن، حتى وهي تقول هذا، كان البيت لا يزال مكاناً بعيداً بالنسبة إليها. أمّا الآن وقد خرجت إلى العراء ورأت صحو الطقس، فلم يعد ذلك بعيداً جداً. كان لوك قد سبقها، نحو سقيفة صغيرة، ولحقت به بحذاء التزلج ولم تكن تشعر سوى بوخز خفيف في كاحلها يذكرها بالحادثة.

سألها من دون أن يستدير نحوها: «كيف تشعرين؟»

وأخذ يتفحص كومة الحطب في الزاوية.

ـ أوه.. قدمي بخير.. انظر.

واستدار لينظر، وسارت بضع خطوات نحوه: «هلا تلاحظ أنني أصبت بالتواء؟»

وافته بحيث لم يعد يفصلهما سوى بضعة أقدام.

قال: «لا. وكأنها جديدة».

وعاد إلى تفحصه للحطب، ثم أخرج قطعة حطب كبيرة، ووضعها فوق

طاولة منخفضة قرب الجدار.

قال: «ماذا ستفعلين حين تعودين؟».

والتقط الفأس، وبضربة سريعة قوية شطر الحطبة نصفين.

قالت ميرندا: «من يعرف؟».

تمنت للمرة الأولى لو ينظر إليها بدلاً من هذا الحطب، الذي بدا أنه منكب على تقطيعه.

ـ هل تعتقد أنه عليّ العودة إلى التصميم الداخلي؟

كان من المنعش أن تكون في الخارج بعد كل تلك المدة.. والأكثر إنعاشاً كانت المشاعر التي ظهرت لديها واعترفت بها، مجرد التفكير بهذا كان يجعل نبضاتها تتسارع.

هز كتفيه: «ولمَ لا؟».

مع ذلك لم ينظر إليها، وكأنه غير مهتم بما يخبئه المستقبل لها.

ـ قد يمثل هذا تحدياً أكثر من التجوّل حول العالم بحثاً عن اللهو.

ـ هذا ممكن.

وصمتت، لتبدو وكأنها تفكر كثيراً بالمسألة.

ـ لكن السعي وراء الإثارة تحدٍّ بحد ذاته.

نظر لوك إليها. لكن كان من المستحيل عليها تبيان ما يفكر به، ولو أن ليس من السهل أبداً رؤية ما يجول في رأسه.

قالت تضغط عليه: «ألا توافق؟».

ـ هذا يعتمد على ما تريدينه من الحياة.. لكن البحث عن إثارة تلو الأخرى، بالنسبة لي، هو كالمخدر.. عاجلاً أم آجلاً سيزول تأثيره. وبعدها؟ ستضطرين إلى مواجهة تلك المسائل التي قضيت عمرك تتجنبينها.

حاولت الابتعاد عن هذا الموضوع الكئيب. وقالت: «المكان مظلم هنا.. أليس كذلك؟».

لم تشأ التفكير بما سيحصل بعد ذلك، وأكملت: «هلا خرجنا للهو قليلاً؟».

ـ ما نوع اللهو الذي تفكرين فيه يا ميرندا؟

هذه المرة نظر إليها.. وفي شبه الظلام المسيطر تحت السقيفة، لمعت عيناه كعيني النمر.

قالت: «يمكننا.. أن نصنع رجل ثلج.. وحين أرحل، تستطيع أن تنظر إليه وتتذكرني».

وتساءلت بماذا ستذكره.. وأدركت أنها لا تريد أن يتذكرها فقط... أرادت أن تقترب منه لتسمع صوته، وتستجيب لكل رنة منه وكل نظرة نحوها.

قالت متوترة: «إنسَ الأمر.. لا شك أنني أقف في طريقك هنا».

وخرجت من السقيفة، لتعود إلى الضوء الباهر في الخارج.

لم تتوقع أن يلحق بها، ولم تشعر أنه لحق بها إلا حين قال من خلفها: «حسن جداً.. دعينا نبني ذكراك. هل نفعل؟ رجل ثلج؟».

ولحق بها حتى سارا جنباً إلى جنب: «سيبدو غير ملائم قليلاً.. ألا توافقين؟ سيكون قصيراً ومستديراً».

قالت غاضبة: «لا داعي أن تمازحني.. أعرف أنك تجدني مملة سخيفة».

ـ ومن قال هذا؟

استدار لينظر إلى عينيها مباشرة.

ـ هل قلت أنا هذا؟

ـ لم تكن مضطراً.

ـ والآن.. من يقوم بالافتراض؟

نظرت إليه مترددة.

انحنى لها انحناءة مسرحية قائلاً: «الثلج ينتظر.. سيدتي».

واستمر في النظر إليها، وسمحت لنفسها أن تبتسم، وأكمل: «طبعاً.. سنضطر إلى التخفيف من حناياه قليلاً..».

ـ وكيف يمكننا أن نصنع رجل ثلج نحيل؟

ـ نحيل؟

وضحك بصوت منخفض، وأحست بالوخز في داخلها.

ـ حسب ما أعرف، لستن جميعاً نحيلات.

وركع ليبدأ تشكيل امرأة الثلج، وانضمت ميرندا إليه. كانت يده في القفاز تلامس يدها بين الحين والآخر، ولم تكن تسحبها، بل تتظاهر أنها لم تلاحظ الاتصال العفوي.

قال: «لا أظنك ستشعرين بالإهانة إذا لم يكن هناك تشابه ظاهر بينكما، حين ننتهي».

وأكملا القاعدة، ثم انتقلا إلى المرحلة الثانية.

وعدت ميرندا: «سأبذل جهدي».

حتى لصنع رجل ثلج غبي، كان هناك ضرورة للتركيز.

سألت بخفة: «وهل ستفكر بي حين تنظر إليه؟».

ونظر إليها، هذه المرة، أحست بالجرأة وأسرت نظرته إلى أن أشاح هو بنظره.

ـ لماذا تظنين أنني بحاجة إلى رجل ثلج ليذكرني بك؟ في الواقع، لدي ذاكرة ممتازة.

ـ وهذا ما يتوافق مع إحساسك بالتواضع؟

ضحك ضحكة صغيرة مثيرة.

ـ أتساءل أي لعبة تحاولين لعبها الآن.

اتسعت عينا ميرندا، وقد أدهشها حقاً ما قاله: «أنا؟ ألعب لعبة؟».

ـ ولا تنظري إليّ بهاتين العينين البريئتين كالطفل.

دنا منها: «بالنسبة إلى سيدة تعيش حياة عصرية.. أنت شفافة كفتاة

www.elromancia.com مـــورد

في السادسة عشرة».

ـ وماذا ترى بالضبط على وجهي الشفاف؟

وأحست باحتراق وجنتيها.

ـ ما يراه أي رجل حين تلاحقه امرأة بعينيها.

هناك، في الخارج، تحت أشعة الشمس بدت عيناه أكثر عمقاً.

أكمل: «كنت تنظرين إلي نظرات حادة منذ الغداء.. هل ظننت أنني لم ألاحظ؟».

ـ لم أفعل هذا!

لكن إظهار احتجاجها كان ممزوجاً بالذنب، وقد لاحظ ذلك بضحكة انتصار صغيرة.

ـ كاذبة.

حدقا ببعضهما لثوانٍ، وأحست بقلبها يخفق بقوة في صدرها. كان على بُعد إنشات منها.. وكاد يغمى عليها لمجرد التفكير في الاقتراب منه.

وقف قائلاً: «وما أريد معرفته هو لماذا؟».

بقيت جاثية فوق الثلج، والذهول بادٍ على وجهها.. ثم وقفت بدورها.

قالت بضعف: «لا أعرف عمّا تتكلم».

أوه.. أولا تعرف عمّا يتكلم؟ إنها تريده أن يبادلها شعورها، ولم تدرك أنها كانت واضحة جداً في هذا. نظراً لحياتها الاجتماعية الرفيعة ورغبة الكثير من الشبان في مواعدتها، فإن الانجذاب إلى رجل والرغبة في أن يلاحظ وجودها، إحساس غريب عنها، والتعامل معه أشبه بلعبة جديدة، تجهل قوانينها.

ـ هل يمكن أن نتابع نقاشنا هذا في الداخل؟

ردت: «لكن، ماذا عن رجل الثلج؟».

ـ أوه.. أظنه يستطيع الانتظار قليلاً، ألا تظنين هذا؟ أضف أن الفضول لطالما كان نقطة ضعفي، وأنا الآن لا أستطيع الانتظار لأرى أين سيوصلنا هذا.

وسار نحو الكوخ وهو يمرر أصابعه في شعره ليزيل عنه الثلج المتساقط، دون أن يتوقف لينظر إلى الخلف ليرى ما إذا كانت تلحق به أم لا. وفكرت بعجز: هذا لأنه يعرف أنها ستلحق به.. ودفع الباب وتنحى جانباً لتدخل وهي تتجنب عينيه بارتياب.

خلعت سترتها وتخلصت من بنطلون التزلج الذي كانت ترتديه فوق السروال القديم الذي أعارها إياه وفعل هو الشيء نفسه. أحست به، وأحست بعينيه الفضوليتين الحادتين على ظهرها، ترسلان قشعريرة صغيرة على طول ذراعيها.

قال، بعد أن وجدت الشجاعة لتستدير: «حسناً.. هل ستتابعين إنكار كل شيء أو ستقولين لي ما الذي يجري؟».

ـ أعتقد أنني بحاجة إلى شيء أشربه.

ضحك: «يا لها من شجاعة، اجلسي هنا وانتظري».

عاد بعد دقائق ومعه فنجانين من القهوة، وجلس على الكنبة إلى جانبها.

ـ والآن، انظري إلي وتكلمي معي. قولي لي ماذا يجول في خاطرك.. يمكنني أن أكون متعاطفاً جداً.

كان ينظر إليها بتكاسل بينما كانت ترتشف القهوة الساخنة.

قال متشدقاً: «هل ستفتقدين إلي يا حبيبتي؟ هل تريدين ذكرى لن تنسيها».

شهقت ميرندا: «هذه فظاظة».

لكن كلماته أرسلت رجفة اكتئاب في نفسها.

قال: «لكنني رجل فقط، ألست هكذا؟ أوليس هذا ما يعجبك؟ ألاّ

أكون من الفتيان الذين اعتدت الخروج معهم؟».

ولّدت كلماته الحريرية مشاعر جيّاشة في داخلها. وعرف هذا، إذ بدا الأمر واضحاً على وجهها الأحمر.. وهي واثقة من هذا.

مال نحوها وهو يهمس:

ـ هل هذه هي اللعبة الصغيرة التي تلعبينها؟ ألم أعرك اهتماماً كافياً وأنت هنا، وأنت الآن مستعدة، بطريقة ما، لفعل شيء كي ألاحظ وجودك؟

أحست ميرندا أنها عاجزة عن الكلام: «أنا..».

تمتم بنعومة وهو يبتسم: «لا أعتقد أن والدك سيوافق».

ـ والدي؟

التوى فمه في ابتسامة: «آه.. إنه ليس هنا.. أليس كذلك؟».

شرب ما تبقى من القهوة وجلس إلى الوراء.

ـ إذن، أخبريني ماذا سيحدث الآن.. فأنت تعرفين قواعد هذه اللعبة.. وأنا لا أعرفها.

أخذت ميرندا نفساً عميقاً مرتبكاً.

قال: «والآن.. لا تكوني خجولة».

وشبك أصابعه منتظراً ردّها.

قالت متلعثمة: «هذا سخيف».

ورفعت ذقنها.

قال بصوت أجش: «التجاذب.. ليس سخيفاً أبداً. هل تريدينني أن آخذ زمام المبادرة يا ميرندا؟».

قالت حائرة: «في الواقع أنا..».

ـ تجعلين الأمر يبدو وكأنه غير طبيعي..

في الواقع، لم تكن قد شعرت بمثل هذه المشاعر من قبل، وكانت عيناه الزرقاوان تنظران إليها والمشاعر تتأرجح فيهما..

أحست باندوار يتملكها، وشعرت بقلبها يخفق بسرعة.

ضحكت ميرندا بصوت أجش: «ظننتك حذرتني من التعقيدات إن وصلت إلى باب دارك».

قال موافقاً: «هذا صحيح».

تعرف إلى أين كان سيوصل هذا الحوار، لولا رنين هاتفه النقال.

بحث لوك عن الجهاز في جيبه، ثم تناول الهاتف ليرد..

سمعته يقول: «أجل.. بخير أجل.. في الواقع إنها هنا. لقد خرجت اليوم للمرة الأولى».

أعطاها الهاتف ودوى صوت والدها في الجهة الأخرى من الخط.

قال والدها: «أرجو أنك لا ترهقين نفسك».

أكمل وهي تنظر إلى لوك، وتتشابك نظراتهما.

ـ يجب أن تأخذي الأمور الهوينا نظراً لالتواء كاحلك. أعرف أنك قلت لي إنه شفي لكن لا أريدك أن تفعلي شيئاً غبياً وتعرّضيه للخطر.

ـ لن أقوم بشيء غبي يا أبي.

وراقبت لوك وهو يجلس إلى جوارها.

قالت رداً على سؤال أبيها عن الطقس: «لقد تحسّن كثيراً، نعم.. نعم.. سأخبرك لاحقاً نعم.. حسن جداً، وداعاً الآن. وأنا أحبك أيضاً».

أخذ لوك الهاتف من يدها، ثم نظر إليها بتعبير مداعب.

ـ إذن.. أنت لن تقومي بعمل غبي..

وراح ينظر إلى وجهها المصطبغ باللون الأحمر.

ـ والآن.. أتساءل ما هو وصف والدك للغباء.

قطبت، وسألت بلهفة: «وهل تظن أنني غبية؟».

ـ أنت تعنين ما إذا كان كلانا غبياً؟ هذا ممكن جداً.

سألت: «لماذا تقول هذا؟».

www.elromancia.com مرومانسية

ـ أي خلوة بين رجل وامرأة لها مضاعفات.

وتفحصها قائلاً: «أنت لست طفلة. وتعرفين هذا، ربما سيطمح حارس المنزل المسكين هذا، بأن تشاركه امرأة كوخه خلال أيام الشتاء الطويلة..».

وصمت.

لاحظت أنه لم يقل إنها هي المرأة التي يريدها في صحبته.. لكن من يلومه؟.

أخذت نفساً عميقاً لتحارب الشعور غير المريح الذي راودها بشأن مستقبلها. وقالت لنفسها إن كل شيء سيكون مختلفاً ما إن تعود إلى انكلترا.

قالت: «يريد والدي أن يعرف متى سأعود».

ـ وماذا ستقولين؟

ـ أوه.. سأقول إنه يمكن أن يتوقع عودتي بعد يومين، بعد أن أتأكد أنني سأتمكن من التزلج والوصول بأمان.

ـ أمان..؟ كلمة مثيرة للاهتمام. ألا تشعرين بالأمان هنا معي؟

فتلوت خجلاً. وسألت: «أين هي أقرب بلدة؟».

ـ على بعد كيلو مترين من هنا... حين يكون الطقس جيداً، أحضر المؤن من هناك إذا احتجت.. ثم أركب المصعد المعلق وأكمل الطريق متزلجاً إلى هنا.

ـ وهل تتزلج وأكياس المشتريات في يدك؟ هذا مربك.

قال ضاحكاً: «أنا لا أشتري عادة أكياساً مليئة.. بل ما يكفي لأحمله في حقيبة الظهر.. ولو أنني يمكن أن أتدبر أمري مع عشرة أكياس، فأنا متزلج كفؤ جداً.. على عكس البعض..».

جمدت ميرندا وأمالت رأسها.

ـ مهلاً.. ما هذا الصوت؟

ـ أي صوت؟

ـ يبدو وكأنه.. تواضعك يخرج عن السيطرة.

ورد على الإهانة المتعجرفة بقهقهة عالية.

***

www.elromancia.com
رومانسية

٥ - عرض عمل

- ميرندا!
رفعت ميرندا رأسها بحدة.
- ما بك بحق الله؟
- لا شيء!
وحدقت إلى الفطور الوفير الذي سكبته لنفسها والذي لم تأكل شيئاً منه.
كان والدها لا يزال ينظر إليها من فوق حافة نظارة القراءة وقد أخفض صحيفته.
سأل: «لماذا لا تأكلين؟».
وتخلى عن الصحيفة، ليوليها اهتمامه الكامل. كان رجلاً طويلاً، ونحيلاً، أشيب الشعر أزرق العينين. كان يرتدي ثياب الغولف. وهي تذكر أنه كان يختفي كل صباح سبت إلى ملعب الغولف ليمارس رياضته المفضلة مع أصدقاء ثلاثة لم يفترقوا منذ أيام الجامعة..
قال: «تكلمي.. أنت تتسكعين باكتئاب في المنزل منذ أسبوع.. هل أنت مشتاقة إلى شيء إلى حد المرض يا فتاتي؟».
- يا له من تعبير قديم الطراز يا أبي.. مشتاقة إلى شيء إلى حد المرض.. لا.. لست مشتاقة إلى شيء.. لكنني فقط لست جائعة.

تجاهل تفسيرها وتابع: «وماذا تفعلين في البيت في نهاية هذا الأسبوع؟ ألا يجب أن تخرجي وتمرحي مع أصدقائك؟».
- في الواقع لست في مزاج جيد لهؤلاء الأصدقاء.
- لا ألومك.. فأكثرهم فارغون.. كل ما أرجوه هو ألاّ يكون مزاجك هذا بسبب فريدي.. كان من الجيد أنك تخلصت منه.
شخرت ميرندا اشمئزازاً لمجرد ذكر أمر كهذا. لقد حاول فريدي الاتصال بها مرتين منذ عادت وقالت له، مرتين، إن بإمكانه أن يغرب عن وجهها. وأضافت في المرة الثانية أنه لو اتصل بها مرة أخرى ستقفل الخط، وستستمر في إقفاله إلى أن يفهم الرسالة. كما أنها أوضحت له رأيها فيه ولم تتصور أنها ستسمع صوته مجدداً.
قال والدها: «حسن جداً.. لا يمكنك قضاء كل وقتك هائمة هكذا.. هل لي أن أذكرك بدروس تصميم الديكور التي أخذتها منذ سنوات؟».
وخلع نظارته، ودسها في علبتها، ووضع العلبة في جيب قميصه الأعلى. ثم وقف، وبدأ يرتدي سترة الغولف..
تابع: «ربما أنت متشوقة لقليل من العمل الشاق، لمجرد التغيير».
سألت ميرندا: «لماذا ألاحظ شيئاً من الغرور في صوتك وأنت تقول هذا يا أبي؟».
وضحك لها، فأضافت: «لا أعرف من أين أبدأ».
- أستطيع نشر الخبر في نادي الغولف.. بعض النساء يمضين كل وقتهن وهن يجددن ديكور منازلهن.. وما إن يجددن كل المكان رأساً على عقب، حتى يجدن أن الوقت حان للتغيير.. وبعد فعل هذا خمس مرات، يصبحن على استعداد للانتقال من المنزل.. ولا أستطيع فهم هذا.
- أستطيع نشر الخبر بنفسي.
لكن فعل هذا، بدا لها صعباً جداً. الفكرة لوحدها جعلتها تغرق في

www.elromancia.com

حالة ذعر.. أين يمكن أن تبدأ؟ بإعلان في الصحيفة؟ أم أنها ستذلّ نفسها وتقف في الساحات تحمل أوراقاً توزعها تحت المطر البارد؟ أو ربما تحمل إعلاناً وتقول: أنا لم أفعل هذا منذ سنوات.. أرجوكم أعطوني فرصة.

وقررت أن تفكر بالأمر، في الأسبوع القادم. أما الآن فهناك أشياء ملحة أخرى تفكر فيها.

ما إن أصبح البيت خالياً، حتى اتجهت ميرندا إلى غرفة هادئة، وتمددت فوق الكنبة. أغمضت عينيها وراحت تعيد إيقاظ الذكريات التي كانت مؤخراً تزعج تفكيرها بشكل دائم والتي تحولت إلى صورة لوك دوكروا، تقض مضجعها. وأطلقت العنان لتفكيرها ليسير في دروب كانت تعرف أنها ستنتهي إلى جرحها.

غرب آخر يوم لها في الكوخ.. كانا قد أمضيا الأمسية في انسجام تام، وكأن الزمان توقف بالنسبة لهما، ليعطيهما فرصة يستكشفان فيها أفكار بعضهما.

واستيقظت في آخر صباح لها والشمس تتدفق إلى الداخل عبر النافذة.

حين استدارت، وفتحت عينيها الناعستين، كان قد أتاها بالفطور.

تمتم: «تبدين راضية بشكل واضح.. كنت تفكرين بي.. أليس كذلك؟ أوه.. أجل أرى أنك كنت تفكرين بي».

ـ كم الوقت الآن؟

وتمطت، رافعة ذراعيها إلى فوق رأسها.

قال: «وهل يهم؟ أعتقد أن علينا نسيان الساعات اليوم وأن نضع توقيتاً خاصاً بنا».

كان النهار مشرقاً صافياً، وكان موعد الغداء يقترب وهما لا يزالان يضحكان. وأخذت تدور بصخب في المطبخ، وهو يراقبها من على كرسي

المطبخ، ويكلمها حول بعض الأماكن النائية التي زارها، مما جعلها تبدو صغيرة بالمقارنة معه.

واتسعت عيناها لأخبار المناظر في الشرق الأقصى وبراري كندا.. وحتى الصين.

قالت ممازحة: «هل أنت متأكد أنك لا تختلق الكلام وأنت ترويه؟ لا أستطيع أن أصدق أنك أكلت عيون الغنم، والحشرات».

هز كتفيه مبتسماً لتعبيرها المذهول: «الرجل الحكيم هو من يعرف كيف يحترم معتقدات الآخرين وحضارتهم.. ولهذا السبب، عندما تقومين أنت بطهو الطعام الآن، فأنت تحترمينني».

قدمت ميرندا الغداء، وذهلت عندما وجدت المذاق جيداً بما يكفي.

لم تشعر يوماً بأي حماسة لأي شيء له علاقة بالمطبخ.. وكان ذلك بسبب أبيها. فقد كانت أمها تحب الطهو وتقرأ كتبه، وتبتهج بالتجربة. لكن ميرندا كانت تعارض أفكار والدها عن النساء في المطبخ، على أساس أنها قديمة الطراز. لكنها أدركت الآن أن الطهو مثل الديكور الداخلي، وغيره من الأمور التي تخلت عنها لأن المواظبة كانت تنقصها.

حين حاولت خلال الغداء أن تشرح هذا الأمر.. وجدت ردة فعله متعاطفة أكثر مما توقعت.

قال: «إذا كنت قادرة على رؤية ما لست راضية عنه في حياتك...».

واستدعاها إليه، يجلسها بقربه كطفلة في العاشرة من عمرها، بحاجة إلى المواساة: «.. فلماذا لا تفعلين شيئاً بهذا الخصوص حين تعودين إلى انكلترا؟».

بجلوسها قربه أحست بالأمان، تماماً كما كانت وهي صغيرة وكان والدها يجلسها على ركبته بكل صبر ويهدىء من قلقها الطفولي.

قالت: «لا أستطيع».

ـ لماذا؟

- لأن. .

- لأنك خائفة؟ تخافين من الفشل؟ أعرف. . أعرف. .

وتابع يهدىء روعها. وأدركت أنه يفهم كل شيء. . حتى الأشياء التي لم تتفوه بها لأي شخص من قبل، حتى لوالدها.

وأكمل: «أسهل عليك أن تكوني شابة جميلة دون همّ في العالم من أن تسمحي للعالم أن يحكم عليك بحسب جدارتك».

كان صوته وهو يتابع تحليل أفكارها الخاصة كموجة تحط حولها وتحتويها، وكان عليها السيطرة على الدموع التي بدأت تترقرق في عينيها.

لم يبق لها سوى ذكرى هذا اليوم!

وكانت بحاجة إلى حنانه، وليس للتفكير والتحليل والبكاء. فكل ما كانت تريده الآن هو أن تبقى معه لأنها حين ستترك هذا المكان، سيكون قد خرج من حياتها إلى الأبد، ولن يبقى سوى الذكريات والألم.

تأوهت ميرندا يائسة وهي تنظر إلى السقف في منزل والدها.

كانت إعادة التفكير بما حصل أشبه بمشاهدة فيلم سينمائي بطيء.

كلماته حول خوفها من الفشل خرقت رأسها وتجذرت فيه. أضف أن شكها في رؤيته ثانية، جعلها تتفوه بشيء كان يجب أن تحتفظ به لنفسها. ألا وهو ما إذا كان يريدها أن تبقى معه.

حين لم يكن رده فورياً، جلست تحدق بعينيه.

أخيراً قال لها بحزم: «لن تكون هذه فكرة جيدة. . لا يمكنك أن تختبئي هنا كي لا تضطري إلى مواجهة ما عليك مواجهته حين تعودين إلى انكلترا».

صدمها رفضه، لكنها سيطرت على مشاعرها، وحاولت ألاّ ترتجف أمام عينيه الفضيتين.

هو لا يريدها. . فهي ليست من النوع الذي يهواه. . . وبقاؤها أبعد من أن يكون ممتعاً له.

ومن يعلم؟ قد يكون وجد لذة في معرفة امرأة مختلفة عن اللواتي اعتاد عليهن. .

سأل: «تفهمين ما أقول يا ميرندا؟».

وهزت رأسها إيجاباً، رافضة الكلام خوفاً من قول شيء سخيف.

أخيراً وجدت صوتها: «لم أكن أتكلم عن الالتزام والزواج».

وكانت بهذا تحطم قلبها وكرامتها واحترامها لنفسها.

قال بنفاد صبر: «أعرف هذا».

ولحق بها إلى الحمام ليتابع الحديث.

- فكرت أن الأمر سيكون مرحاً.

وغسلت وجهها وهي تشعر بعينيه تحرقانها، لكنها لم تكن قادرة على إيجاد عذر لتطلب منه الرحيل. فطلبها المفاجيء قد يجعله يظنّ أنها مدمّرة.

ووجدت القوة من حيث لا تدري، لتطلق ضحكة حادة، ولو أنها لم تستطع مواجهة عينيه.

- أنت على حق، من الأفضل أن ننهي يومنا هذا. قليل من المرح، لكن الألفة الزائدة تولد الاشمئزاز، أو هكذا يقال.

ارتدت ثياب التزلج وتحمّلت مرافقته لها إلى أقرب قرية حيث تناولا القهوة قبل أن تستقل سيارة أجرة إلى المطار، لتبتعد عنه إلى الأبد.

جلست ميرندا بقلق، وتمطت. سيعود والدها من نزهة الغولف بعد ساعتين ولن يفيد أن يجدها تتجول في المنزل كفراشة هائمة. قد لا يكون لديه خبرة كبيرة في استكشاف مشاعر النساء، لكنه ماكر بما يكفي، ولن يلزمه الكثير من الوقت ليعرف سبب نقص نشاطها الذي لا تفسير له.

وعزّت نفسها: على الأقل لم تعترف له بما كان سيقلب عذابها إلى ألم مبرح. . فحين نظرت إلى لوك، وضاعت في عينيه، استطاعت ألاّ تقول له إنها وقعت في حبه.

www.elromancia.com
مـرومـنـسـيـة

انتظرت إلى أن عاد والدها، بعد أن ارتدت فستاناً طويل الكمين، وربطت شعرها إلى الخلف، واستقبلته بابتسامة مشرقة.

سألته: «هل كانت اللعبة جيدة؟».

وسارت خلفه إلى المطبخ حيث أخذ يخلع حذاءه وجواربه.

نظر إليها بخبث من تحت حاجبيه الفضيين الكثيفين.

ـ منذ متى تهتمين بمآثر والدك العجوز في الغولف؟ إنها لعبة كريهة.. الآن وقد سألت. كنت أصيب كل شيء ما عدا الحفرة.. جوردون الماكر ضحك على حسابي كثيراً.

أخذت نفساً عميقاً، وسألت: «قررت أن أعمل».

توقف والدها لينظر إليها: «فتاة طيبة».

وسار إلى غرفة المعدات حيث ترك الحذاء، وحين عاد إلى المطبخ، قال بعفوية: «ما الذي تسبب بهذا التغيير المفاجىء؟».

هزت ميرندا كتفيها: «لقد سئمت من عدم القيام بشيء».

ونظرت إليه مبتسمة: «أنا الآن فتاة راشدة.. أظن أن الوقت قد حان لألاحظ أن الراشدين لا يقضون حياتهم بالأوقات المرحة، فهم يعملون جاهدين، ويشعرون بالبؤس».

ضحك والدها، وربّت على رأسها.

ـ هذه هي الروح الشجاعة، إذن، أين ستبدئين؟

ـ سأعود إلى كلية تصميم الديكور لأعرف ماذا يقولون عن المتكاسلين الذين يرغبون في إحياء مهنتهم بعد سنوات من إضاعة الوقت.

قال: «قد أتمكن من المساعدة».

ـ عبر نادي الغولف؟

ـ من يعلم؟ قد تجدين نفسك تعملين بأسرع مما تظنين. أعني، لطالما كان لديك مواهب كثيرة.. وكل من ينظر إلى مستنداتك يلاحظ هذا.

لسوء الحظ، قيل لها حين دخلت مكتب العمل في كلية تصميم الديكور، صباح يوم الاثنين، أن نقص الخبرة عقبة كبيرة.. خاصة في مجال يكثر فيه التنافس.. والوقت الضائع كذلك يمثل مشكلة.. فالتصميم الداخلي تقدم كثيراً.. ولا بد أن تكون قد واكبت تطور هذا الحقل. وإلاّ فيجب أن تأخذ دروساً تذكيرية. وغادرت ميرندا المكتب بعد ساعة ونصف محمّلة بالتفاصيل والمعلومات.

بدلاً من العودة إلى البيت ومواجهة يوم طويل تفكر فيه بقلّة خبرتها، أمضت ميرندا النهار في الخارج، واتصلت على مضض بأحد الأصدقاء لتناول الغداء، فأخبرها عن بقية رحلة التزلج وتفاهة فريدي والشائعات التي سرت حول رحيلها. وعندما اقتربت الساعة من الثالثة والنصف، عادت إلى المنزل محبطة بسبب بقائها دون عمل ودون هدف.

أطل والدها من غرفة الجلوس: «ميرندا.. حبيبتي».

خلعت معطفها وهي تتساءل ماذا ستفعل بلائحة الدروس التي عليها متابعتها.. ربما يجب أن تمحو كل فكرة بالعودة إلى تصميم الديكور من رأسها، وتحاول الاتصال بوكالة عمل.

رمت معطفها على السلم. وهذه عادة يستهجنها والدها.. ومررت أصابعها في شعرها.

ـ عدت إلى المنزل باكراً يا أبي.

سألها: «هل كان يومك ناجحاً؟».

نظرت ميرندا إليه متجهمة: «واضح أنني أحتاج إلى سيرة ذاتية حافلة بالخبرة والمعارف، ولا شيء سيساعدني لأنني كنت خارج مجال العمل لمدة طويلة بحيث أصبحت أفكاري عتيقة وبحاجة ماسة للتجديد».

ولوحت له بتفاصيل الدروس.

ـ أستطيع متابعة دروس تذكيرية، كما قيل لي، لكن حتى في هذه الحالة، لن أصل إلى أي مكان.

www.elromancia.com

نظر إليها نظرة طويلة: «حسن جداً. . قد يكون لدي الحل، يا فتاتي».

- ما هو يا أبي؟ مركز في أحد شركاتك؟ أو ربما ستدعني أجدد ديكور مكتبك؟ أنا أعرض حسومات كبيرة لأفراد العائلة.

وضحكت: «لطالما فكرت أن اللون البني في مكتبك قديم الطراز».

غمزها قائلاً: «انضمي إليّ في غرفة الجلوس لنشرب شيئاً قبل العشاء».

واستدار على عقبيه وقال: «ولا يتعلق ما سأقوله بالتخلص من الألوان الجميلة في مكتبي».

- أوه. . صحيح؟ ماذا إذاً؟

بدلاً من الرد، تنحى جانباً لتدخل قبله.

وكانت ميرندا على وشك طرح الأسئلة، لكنها توقفت فاغرة فاها وشبح الابتسامة يتلاشى بسرعة عن شفتيها.

ماذا يفعل هنا بحق الله؟ ماذا يفعل لوك دوكروا هنا في منزل والدها مسترخياً يشرب العصير؟

أحست ميرندا بالاختناق لهذا الظهور المفاجيء وقد بدا عليه طمأنينة من يشعر أنه في بيته.

قال الأب من خلفها: «أعتقد أنكما تعرفان بعضكما».

عندئذ تأكدت أن هذا ليس وهماً.

لأسباب تجهلها، لوك دوكروا ترك عمله ولحق بها إلى انكلترا.

سألها والدها: «ماذا تريدين أن تشربي يا حبيبتي؟».

وبدا مسروراً بنفسه بطريقة مريبة.

شهقت ميرندا: «ماء!».

ثم سيطرت على نفسها وتنحنحت: «ثم كوب من عصير البرتقال

أبي. . شكراً».

تابع لوك تقدمها المتعثر من الباب إلى الكنبة، مبتسماً: «إذن. . لقد التقينا مرة أخرى».

ورفع كوبه يشرب جرعة من العصير، وأحست ميرندا أنها تكاد تختنق.

قال والدها: «ألست سعيدة؟».

تمكنت من القول بصوت مختنق: «بل فقدت القدرة على الكلام».

وابتلعت جرعة كبيرة من العصير البارد الذي أعطاها إياه والدها، في محاولة يائسة لتجلو أفكارها.

قال لوك بجفاء: «أنت تبدين شاحبة قليلاً».

ووضع كوبه بحذر فوق الطاولة، وشبك أصابعه فوق حجره.

قال والدها: «كان يومها شاقاً، ولا عجب أن تكون المسكينة شاحبة. . إنها قلقة بخصوص العودة إلى العمل».

- أبي. . لست قلقة. . أنا فقط أفكر بالأمر.

ولمحت لوك ينظر إليها بتعبير غامض، وفكرت بأنه يحاول جهده على الأرجح ألا يتكلف الابتسام.

قال والدها: «تلك الإقامة القصيرة في منزلك، لا بد أعادتها إلى تعقلها».

منزله؟ وفتحت فمها لتصحح معلومات والدها في هذه النقطة. لكن، قبل أن تتمكن من التفوّه بكلمة، تدخّل لوك وراح يتحدث مع والدها ويتكلم عن العزلة التي تشكل أحياناً أفضل علاج، وتمنح المرء الوقت ليفكر في ما يريده حقاً. وكان والدها المسكين يصدق كل هذا.

أخيراً قاطعت الحديث: «إذن. . ماذا جاء بك إلى هنا؟».

سأل لوك بصوت ناعم: «لقد أضجرتك. . أليس كذلك؟».

www.elromancia.com

ـ أبداً. . لكنني أتساءل ماذا تفعل هنا في حين يجب أن تكون في فرنسا . . أعني ماذا. .

ـ إذن لم يحالفك الحظ في التفتيش عن عمل؟ إنه ميدان تنافسي.

ردت بحدة: «أعرف هذا».

وتنحنح والدها ليذكرها بأصول اللباقة فأكملت: «لقد أمضيت ساعتين أستمع إلى امرأة تخبرني عن هذا الموضوع. . ولا أحتاج إلى موعظة أخرى حول استحالة إيجاد عمل في حقل مزدحم، وأنت لم ترد بعد على سؤالي».

ماذا يفكر والدها به؟ لم يُظهر الكثير من الفضول بشأن منقذها.

ما عساه قد يفكر الآن بهذا الرجل الجميل الطلعة؟

ابتسم لوك بلطف: «أنا هنا لأساعدك. . في الواقع».

وحاولت أن تتفهم ماذا يعني بهذا بالضبط.

قال والدها وهو يقف: «ربما يجب أن أترككما لتناقشا هذا لوحدكما».

وكادت ميرندا تصيح به أن يبقى.

قالت بصوت يقرب من الصراخ: «ما من شيء تخفيه عن والدي!».

فكرة بقائها لوحدها في غرفة واحدة مع لوك، أربكتها.

هل عاد ليسألها إذا كان عرضها بالبقاء معه لا يزال قائماً؟ يا له من جريء! أن يأتي إلى منزل والدها بكل وقاحة، ويتظاهر أنه آتٍ لمساعدتها!

قال والدها: «جاء لوك ليراك من أجل عمل. . أستطيع إدارة عدد كبير من الشركات، لكن حين يصل الأمر إلى تصميم الديكور الداخلي. . حسن جداً. . أضيع».

وابتسم لضيفه: «وستكون هي أول من يقول لك هذا!».

رفع لوك نظرة من على حقيبة أوراقه التي أخرج منها كومة أوراق.

ـ هل هذا صحيح؟

وصرّت ميرندا على أسنانها وهي تراقب ما يفعله فاغرة فاها.

ـ لماذا تحمل حقيبة أوراق؟

قال والدها بصوت محذر: «كوني مهذبة يا ميرندا».

ونظرت إليه نظرة تدعو للشفقة، تتمنى لو أنه يقرأ أفكارها. .

قال لوك بجفاء: «أوه. . أعرف تماماً كيف أتصرف مع ابنتك».

فهمت المعنى المزدوج من كلامه، وأحست باللون الأحمر يلسع خديها.

قال الأب: «والآن أيها الشاب. . ما رأيك لو تبقى للعشاء بعد أن تنتهيا؟».

فغرت ميرندا فاها. لكن قبل أن تتمكن من الاعتراض على هذه الفكرة، كان لوك يهز رأسه قبولاً، ويقول إنه كان سيأتي معه بهدية لو عرف أنه سيبقى للعشاء.

استدار والدها عند الباب لينظر إليهما: «أليس لديك خطط أخرى أليس كذلك؟».

بدا لوك حسن المظهر ببنطلونه الرمادي، وحذائه الأنيق، وقميصه الأزرق. وأحست ميرندا بموجة من الحب الصرف تغمرها، لكنها كانت غاضبة لأن هذا المحتال تمكن من خداع والدها.

قال لوك بصوت دافىء شاكر للدعوة: «ليس لديّ ما لا يمكن تأجيله».

قالت ميرندا، ما إن خرج والدها من غرفة الجلوس، وأغلق الباب خلفه بلباقة:

ـ هل تسمح أن تقول لي ماذا يجري هنا؟ كيف تجرؤ على دخول منزل أبي بادعاء كاذب؟ كيف تجرؤ؟

www.elromancie.com

رد لوك بكسل: «لا يبدو أنك مسرورة جداً لرؤيتي؟».

ونظر إلى وجهها المحمر، ثم إلى بذلتها الزرقاء وحذائها الأزرق، ذلك الزي الذي تصورت بغباء أنه سيتناسب مع أول يوم من البحث عن العمل.

- كيف وجدتني؟

- اتصلت بوالدك.

- واحتلتَ لتدخل إلى منزله بقولك.. ماذا؟

- بقولي إن لدي عمل صغير لك.

ضحكت ميرندا غير مصدقة.

- حسن جداً.. سرعان ما سيعرف أن العمل الذي جئت تعرضه لا يوجد سوى في رأسك، حين سأدعه يعرف من، وماذا أنت حقاً!

وجوده بالقرب منها.. أحيا طعم رفضه المرير لها، وودّت لو تنقض عليه وتقتله.

لاحظت أنه يبدو مرتاحاً تماماً وغير منزعج من واقع أنها على وشك فضح خداعه.

- لماذا تظنين إذن أنني أتيت إلى هنا يا ميرندا؟

قالت بقسوة: «ربما تظن أنك قادر بطريقة ما أن تحصل على المال من أبي.. لا أعرف.. قل لي أنت».

أعطاها الأوراق التي في يده.. وبدلاً من أخذها نظرت إليها، وسألت: «ما هذه؟».

وعندما حدّقت جيداً، قالت: «إنها تصاميم منزل رب عملك.. لماذا هي معك؟ ظننت أنك محوتها من الكومبيوتر، ماذا يجري هنا؟».

وكانت العدوانية في صوتها محفوفة بارتباك حقيقي، وأكملت: «هل يعرف رئيسك ماذا تنوي أن تفعل؟».

رمى لوك الأوراق على الأرض وتراجع في المقعد لينظر إليها: «آه.. لقد حان الوقت لنتحدث، أنت وأنا».

* * *

www.elromancia.com
مـرمـوريـة

٦ ـ ابتزاز

احتست ميرندا بعضاً من قهوتها، وهي عادة اكتسبتها على ما يبدو خلال إقامتها في الكوخ. كان يجدر بها أن تسيطر على الوضع وألاّ تترك لوك دوكروا يناورها في منزلها. لكن حين مدت يدها لتضع الفنجان على الطاولة أمامها، وجدت يدها ترتجف، فضمت ذراعيها بسرعة فوق صدرها لتنظر إليه ببرود.

سألت بصوت جاف: «لماذا أنت هنا حقاً؟ وماذا تفعل بتصميماتي؟ وماذا قلت لوالدي؟».

ـ أي سؤال تريدين أن أرد عليه أولاً؟

ـ لا أهتم. طالما ترد عليها كلها، ثم تخرج من منزل أبي. ومن حياتي.

بدلاً من الإجابة، تراجع لوك في المقعد وتأملها من فوق حافة فنجان القهوة. وأخذ رشفة متكاسلة، وأعاد الفنجان بحذر إلى طاولة بجواره. ثم شبك أصابعه في حجره.

خلال الصمت، تسنّى لميرندا أن تلاحظ أن ملابسه لا تشابه أبداً زيه القديم الذي كان يرتديه في الكوخ. في الواقع كان يبدو أنيقاً، بل أنيقاً ببذخ. وفكرت أنه لا بد ارتدى أفخر الملابس ليزور والدها، إذا كان هدفه محاولة ابتزاز المال منه، أو على الأقل ليظهر جانباً محترماً إذا كان يخفي خطة سيئة.

قال دون مقدمات: «لم أقل لوالدك شيئاً عنا..».

ـ ما من شيء «عنا».

نظرت ميرندا متوترة إلى الخلف، خوفاً من أن يكون والدها قد سمع شيئاً.

ـ أنا لم...

ـ أوه.. بلى.. لكن لا تقلقي.. سيبقى هذا سرنا الصغير.

سيبقى؟ هل يعني هذا أنه سيخبر والدها إذا لم توافق على ما يجول في فكره؟ وزاد احمرار خديها وهمست بلهفة: «إذا كنت جئت إلى هنا لتبتزني..».

ومالت إلى الأمام ترفع شعرها بنفاد صبر عن وجهها.

نظر إليها ببرود: «وماذا ستفعلين بهذا الخصوص؟».

ـ سأكذبك!

ـ حسن جداً.. سأريح لك تفكيرك الرديء، وأقول لك إنني لا ألعب هذا النوع من الألاعيب.. وفي حال كنت مهتمة، أكنّ لوالدك الكثير من الاحترام..

انفجرت صارخة: «أنت لم تره في حياتك من قبل!».

اختطفت فنجان القهوة عن الطاولة واحتست المزيد منه في محاولة لتهدئة أعصابها.

ـ هذا غير صحيح تماماً.

لزم ميرندا عدة ثوانٍ لتفهم هذه الجملة البسيطة.. وحدقت بالرجل الجالس قبالتها.. إنها تحلم بكل هذا.. بعد دقيقة، سوف تصحو وتكتشف أنها كانت تحلم... ورمشت بعينيها.

ـ ماذا تعني؟ عمّ تتكلم؟

ـ هذا يعني..

وهز رأسه، ثم أخذ يطوف في الغرفة ليتفحص تحفاً فنية مختلفة..

ولو أن ميرندا شعرت أنه لم يكن ينظر إلى شيء بقدر ما كان يعطي نفسه الوقت للتفكير.

أخيراً، عاد إلى مقعده. لكن، بدلاً من أن يجلس، استند على ذراع المقعد، ومدّد ساقيه أمامه.

- أنا أعرف والدك يا ميرندا. التقيت به عدة مرات من قبل.

- أنت تكذب.

- أعرف أنه يصعب عليك تصديق ما أقوله.

- أنت تكذب.. لماذا تكذب علي؟ ماذا تحاول أن تبرهن؟

- لا أحاول أن أبرهن شيئاً.. اصغي فقط إلى ما سأقوله لك دون مقاطعة. يمكنك توفير أفكارك إلى ما بعد.

مرر أصابعه في شعره، ونظر إليها.. في ظروف عادية، كانت ميرندا ستتمتع برؤية هذا الرجل الضخم القوي الواثق من نفسه وهو يتخبط في الكلام. لكن دماغها كان مشغولاً في أمر آخر، ولم يعجبه هذا الفشل النادر في السيطرة على نفسه.

- حين وصلت إلى منزلي..

- منزلك؟

نظر لوك إليها بنفاد صبر: «هذا صحيح.. منزلي».

- لكنك قلت..

- أعتقد أنني قد أطلب منك الكثير لتفهمي تفسيري بصمت.. أجل.. أجل.. أعرف ماذا قلت..

وعاد يذرع الغرفة إلى أن أحست أن أعصابها تحطمت بحركته التي لم تتوقف.

قالت بحدة: «أتمنى أن تجلس وتقول لي ما تريد قوله!».

هز كتفيه، وجلس، ولو أنه جلس لسوء الحظ إلى جانبها، ما سمّرها مكانها من الذعر.

- أنا لم أقل لك فعلاً إنني أعمل لصاحب المنزل.. لقد وافقتُ فقط على ما استنتجته أنت.

- ولماذا فعلت هذا؟ لا شيء من هذا له معنى.

وهزت رأسها بحيرة كاملة، آملة أن ترى بصيص نور، لكنها أحست بأنها تصل إلى طرقات مسدودة.

نظر إليها، وتمتم: «ولماذا أفعل هذا..؟ الواقع إنني أملك المنزل وأعرف أنني قلت لك إنه ليس لي.. لكنه لي. إنه مخبئي.. في كل سنة، أختفي هناك لثلاثة أسابيع لأستريح من ضغط حياتي اليومية. ولا أرى أحداً، لأنني لا أدعو أحداً إلى هناك ليراني. لذا، يمكنك أن تتصوري جيداً انزعاجي حين قاطعت عزلتي بكاحلك الملتوي».

كانت ميرندا لا تزال تحاول أن تتصور هذا الرجل على أنه المالك.

ولا داعي أن تتصور ما أحس به هو حين قطعت عليه عزلته... لم يكن دماغها قد توصل بعد إلى تلك الصورة بالذات.

وسألت بصوت ذاهل: «إذن.. بماذا تعمل؟».

- أعمل في لندن.

- تعمل في لندن!

وكأنها كانت تقول إنه يعيش على كوكب المريخ.

- ظننت أن من المثالي لفتاة مثلك أن تفترض أن رجلاً مثلي، يقيم في كوخ صغير بدائي بعيد عن سحر منحدرات التزلج، لا يمكن أن يكون أكثر من حارس منزل فقير، وضيع.. وأنا أعترف أنني وجدت هذا الافتراض مسلياً.. مسلياً وملائماً. فأنا لم أشأ أن أجد نفسي برفقة فتاة سريعة التأثر خرجت لتوها من علاقة، وتبحث عن رجل ثري آخر يتكفل بها.

أحست ميرندا بلسعة على وجهها، فأراحت رأسها بين كفيها: «لقد كذبت عليّ».

www.elromancia.com مـرومـنسيـة

قال: «أعترف أن هذا ناسبني.. ثم قلت لي اسمك وأدركت أنني أعرف والدك.. ألم يخطر ببالك أن والدك لم يكن قلقاً لأنك كنت عالقة وسط اللامكان مع غريب؟».

ـ ظننت.. ظننت أنه حتى ولو قلق، سيكون أكثر ارتياحاً لأنني كنت سالمة.

ـ بالطبع كان مرتاحاً لأنك سالمة. وكان أكثر ارتياحاً لأن من أنقذك هو شخص يعرفه.

ـ كان يجب أن أقابلك..

هز رأسه بلطف: «لا ميرندا. فحياتك وحياة والدك العملية مختلفتان، وأراهن على أنك لا تعرفين الكثيرين ممن يختلط بهم خلال عمله».

وكان هذا صحيحاً. فحين كانت أصغر سناً، كان يحاول تشجيعها على لعب دور المضيفه في بعض المناسبات لشركاته بين حين وآخر.. لكن بعد المرة الأولى، أعلنت أنها سئمت فكرة تبادل الحديث مع أشخاص لا يعنون لها شيئاً.. ولم يضغط عليها مرة أخرى.

ـ وأحد هؤلاء الناس، كان أنا. ولاختصار قصة طويلة، منذ سنوات، موّل مشروعاً لأبي.. ومنذ ذلك الحين، بقي صديقاً لوالدي. وبالرغم من أن والدك وُلد ثرياً، كان لا يزال مؤمناً بقيمة العمل الجاد وبأهمية أن يشق المرء طريقه عبر جهوده الخاصة.. وكان يقدّر الاندفاع الذي يتمتع به والدي.. فيما بعد، احتجت إلى نصيحة في مسألة شراء شركة، واستشرت والدك.

كان مسار القصة يزداد تعقيداً، بحيث عجزت عن المتابعة.

ـ إذن.. أنت وأبي تكلمتما عني.. ثم ماذا..؟ قررتما ألا تعلماني بهويتك الحقيقية؟ كيف استطاع هذا؟ كيف استطعت أنت؟

وأحست بالدموع تحرق عينيها.

قال لوك بلطف: «لم يكن الأمر هكذا تماماً.. لقد تكلمت معه عبر الهاتف..».

ـ أذكر هذا، ودخلت المطبخ لهذا الغرض..

ـ قلت له إنك معي، وإنك تظنين أنني عامل مأجور، وبعد أن ضحكنا حول المسألة، اقترح أن تستمري في افتراضك هذا، لأن قليلاً من العمل الشاق سيفيدك كثيراً، ووافقته.

ـ قليل من العمل الشاق!

قال بحدة: «لا تغضبي يا ميرندا.. خذي دقيقة فقط لتنظري إلى نفسك. لقد عشت حياة مميزة، برعاية والدك. وأشك في أنك يوماً التقيت شخصاً عارضك في شيء. وصدقيني، لم يضطر والدك أن يلوي ذراعي للموافقة على فكرته. فقد كنت داعماً لها مائة بالمائة.. وفكرت أنه سيفيدك كثيراً عدم الحصول على ما تريدين، لأول مرة. كما أنني لم أكن أنوي أن أستجيب لنزوات شابة ثرية.

ـ والعمل على جهاز الكومبيوتر، كان ماذا؟ حصة تعليم إضافية لإرشادي إلى الاتجاه الصحيح؟ إضافة أخرى لتجربتك الصغيرة؟

وكان صوتها متهدجاً.

قال لوك بجفاء: «في الواقع، أعتقدت أن هذا سيعطيك شيئاً تقومين به. أذكر أن والدك قال لي إنك موهوبة وأحسست بالفضول لأرى ماذا يمكن أن تفعلي».

قالت ميرندا ببطء: «وبالطبع. كنت أعمل في تصميم منزلك، أليس كذلك؟».

ـ إنه منزلي.

صاحت: «وتغزلك بي؟ ما كان هذا؟ المزيد من التعليم المنزلي في كيفية تحويل ميرندا العنيدة إلى راشدة أكثر إحساساً بالمسؤولية؟».

وضمت قبضتيها، وقاومت إحساساً بالغثيان.

www.elromancia.com

احمر وجهه بلون قاتم: «كان ذلك. . كان ذلك. . أمراً غير متوقع».

ردت بحدة: «وهل يجب أن يرضي هذا غروري؟ ألاّ يكون جزءاً من خطتك الرئيسية؟».

ـ لم يكن هناك خطة رئيسية.

أطلقت ميرندا ضحكة، قاربت حدود البكاء.

صاح بصوت أجش: «توقفي عن هذه الأنانية. . لقد اعتقد والدك أنك ستحتاجين إلى الخبرة. أن تفهمي معنى الطهو لنفسك وتقومي بكل الأشياء التي لم تحتاجي يوماً إلى فعلها بنفسك».

وأكمل بصوت قوي: «والآن. . قد يعجبك أن تتخذي موقفاً أخلاقياً وتعتقدي أنك تلقيت الخيانة بطريقة ما. . ، لكن دعينا ننظر إلى الأمر عن كثب. لقد عدت إلى انكلترا، ولم تشعري بالسعادة لاستئناف حياتك العادية، أليس كذلك؟».

لو استطاعت أن تهرب إلى مكان آخر في المنزل لفعلت. لكنها تشك في أن أي تفكير بالهرب سيقمع هذا الرجل الذي يخترقها بعينيه. وعرفت عن خبرة أنه لن يكون لها فرصة أمامه.

كرر بخشونة: «أليس كذلك؟».

رفعت عينيها الزرقاوين إليه: «أنا. .».

ـ أنت تبحثين عن عمل لأنك لا تستطيعين مواجهة فكرة العودة إلى تلك الدوامة المجنونة التي لا طائل منها. فهل بمكنك العودة إليها؟ أليس كذلك؟ سئمتِ رؤية الأشخاص ذاتهم، والقيام بالأشياء ذاتها وارتياد الأماكن ذاتها. . . وقد حظيت بوقت للتفكير. .

ـ هذا أمر يجب أن أشكرك عليه، كما أعتقد!

أكمل: «لهذا السبب كنت تتسكعين في شوارع لندن بحثاً عن عمل».

تمسكت ميرندا بما تبقى من رباطة جأشها، وقالت: «لم أفعل هذا. . لم أتسكع في شوارع لندن بحثاً عن عمل. . بل ذهبت إلى مكتب التوظيف

في كلية تصميم الديكور».

هز كتفيه بعدم اكتراث، وكأن إصرارها على التحديد لا يهم.

هذا هو الرجل الذي وقعت في حبه! كانت تجد صعوبة في فهم السبب، ولو أنها تعرف بصدق أنه بالرغم من كل ما قاله وفعله لا تزال تجد نفسها منجذبة نحوه.

قال: «حيث قيل لك إن عليك دفع ثمن سنوات المرح تلك، غالياً».

ردت ميرندا متجهمة: «لا يلزمك الكثير من الخيال لتصل إلى هذا الاستنتاج. . لأن والدي أعلن هذا لحظة وصل إلى الغرفة».

ـ هل أنت على ما يرام؟

التغيير الفجائي في لهجته لفت انتباهها، فألقت عليه نظرة سريعة ثم أخفضت عينيها.

إذا كان يظن أنها ستعترف بصحة ما قاله لها، فهو لا بدّ لا يفكر في أمر آخر. وأحست أنها استُغلت.

وأحست بموجة إشفاق على الذات تجتاحها، وتنفست بعمق، لتهدىء أعصابها.

قالت بجفاء: «لم أكن يوماً أفضل حالاً. . لقد اكتشفت لتوي أنني كنت هدف تجربة تعليمية، دبرتها أنت وأبي، وأن شخصاً كرهني عند رؤيتي، وربما لا يزال، قد استغّل مشاعري نحوه. . وتسألني إذا كنت على ما يرام. . لماذا لا أكون على ما يرام؟».

نظر لوك إليها بعينين ضيقتين متفهمتين خطيرتين. وسأل بصوت يماثل التعبير الذي في عينيه.

ـ ومن قال لك إنني أكرهك؟ إذا كنت تقصدين إهانتي بقولك إنني غازلت امرأة أكرهها، فقد نجحت. فأنا لم أغازل يوماً امرأة لم تكن تعجبني، وأرجو ألا أفعل هذا.

www.elromancia.com

وقبل أن تستطيع تحليل كلامه، تابع بذات التشدد الذي لا يرحم.

ـ وبدلاً من التمرغ في رثاء الذات، والكرامة المجروحة، لماذا لا تفكرين بي؟

نظرت إليه غير مصدقة وأحست برغبة في الضحك: «بك؟ ولماذا أشعر بالأسف عليك؟».

قال بشيء من الصرامة: «أياً كان الدافع الذي ظننت أنني أغازلك لأجله . . دوافعك مبهمة أيضاً».

فغرت ميرندا فاها، فأكمل: «ربما لم يتحطم قلبك بعد علاقتك العابرة مع فريدي ذاك، لكن كرامتك بلى . . وما من طريقة لبلسمة غرورك المجروح أفضل من محاولة إغواء فلاح قوي؟».

كل ما استطاعت أن تقوله لدحض هذا المنطق الحاد كان:

ـ توقف عن تسمية نفسك بالفلاح.

قررت أن تغير الموضوع، فأشارت إلى الأوراق المرمية على الأرض: «إذاً . . جئت لتعطيني بعض العمل . . أليس كذلك؟ هل دفعك والدي إلى هذا؟».

استعاد الأوراق وعاد إلى قربها على الكنبة.

ـ لا . . لم يفعل هذا.

وقبل أن يقول شيئاً عن مد يد المساعدة لها، قالت: «لا أحتاج إلى أن تشعر بالأسف لأجلي. صحيح أنني لم أكن محظوظة مع مستشارة العمل لكنني لا أزال واثقة أنني أستطيع تدبير أموري. . قد أبدأ بالعمل لشخص آخر ثم أرى إلى أين سأذهب».

ـ لن تعملي لشخص آخر، ستعملين لي.

ـ أنا لست بحاجة إلى مساعدتك!

ـ بالطبع، هناك أشياء يجب أن تحسني نفسك فيها.

تلاشى الهدير في أذني ميرندا، والإحساس المدمر للأعصاب إزاء هذه

السخرية الجديدة.

ـ أحسّن نفسي؟

ـ لا داعي لأن تقرفي وكأن هذه كلمة قذرة.

فتش في الأوراق وأخذ إحداها، وكانت الرسم التفصيلي للمطبخ، ولاحظت أن قسماً من عملها تغير . . وأكمل: «لن تحصلي على عمل، إذا كنت ستشهرين سلاحك كلما حاول رب عملك أن يتقدم ببعض الأفكار . .».

ـ أنت لست رب عملي.

ـ لا تهمني هذه هنا . . سيلزمها الكثير من المساحة، كما أن ليس لدي ما يكفي لأملأ الخزائن على أي حال . . إنها ليست ضرورية.

انتزعت ميرندا الورقة منه، وضربت بإصبعها على جانب الرسم. وقالت ساخرة، عاجزة عن مقاومة فرصة الإشارة إلى الخطأ . . خطأ ارتكبه هو . .

ـ هناك خزائن إلى جانب واحد فقط، في الجانب الآخر، هناك فسحة فارغة لكراسٍ مرتفعة، يمكنك الجلوس عليها وتناول الطعام في المطبخ إذا كنت لا تريد الجلوس إلى الطاولة. وهناك كذلك مكان لجهاز التلفزيون حيث يمكنك الجلوس لتناول الطعام ومشاهدة برنامجك المفضل.

قبل أن تتمكن من الابتعاد عنه، أبرز ورقة أخرى ولفت انتباهها إلى رفوف كتب صممتها لمكتبته الخاصة، وأمطرها بأسئلة لا جدوى منها حول الارتفاع والعرض وأبلغها أنها لم تخصص مساحة كافية للعمل، وهذه هي فكرة المكتبة في الأساس.

ردت بحدة: «ما فائدة المساحة الكبيرة للعمل إذا كان لديك مكتب في لندن؟».

قال: «هذا ليس الاعتراض الذي يجب أن يقال لتغيير التصميم. على

أي حال، أنا أنوي القيام بالكثير من العمل في المنزل، والانتقال إلى لندن وقت الحاجة. . سأحتفظ بشقتي هناك وأستخدمها لبعض المناسبات، ثم أنت لم تضعي تصميماً لبركة سباحة».

هذا يتحول إلى سخافة. . وأحست ميرندا بنفسها منقسمة بين الانسحاب من عرض عمل لا تنوي القبول به، وبين دفاع حار عن تصميماتها. وعكست عيناها الزرقاوان صراعها الداخلي، وأحست أخيراً بأنها ملزمة بالقول إنه لم يذكر رغبته في بركة سباحة من قبل.

ـ لقد قررت أنني أريد بركة، الآن.

ـ حسن جداً. . اتصل بمن يصنع البرك، واحصل على واحدة. . هناك أرض تكفي لعشر برك سباحة.

ـ أريد واحدة في الداخل.

ـ لن تناسب.

ـ في مكان ما من الطابق الأسفل. إنه «جاكوزي» أكثر منه بركة سباحة. . أريد رسوماً تزين الجدران، على الطراز الروماني، وجاكوزي لأستطيع الاسترخاء في الأمسيات.

كانت الصورة مغرية بما يكفي لتصور المكان في تفكيرها، وأعادت نفسها بحدة إلى الواقع، وفكرت في أنها تناقش أمر الجاكوزي مع رجل افترضت أنه مفلس نسبياً ولكن اتضح أن الفقير الذي وقعت في حبه، هو ممثل بارع حائز على إجازة جامعية في الكذب.

قالت: «لا داعي لبحث كل هذا معي. . أنا لا أريد العمل».

ـ عظيم.

راقبته على مضض وهو يعيد الأوراق إلى حقيبته، وشعرت بنوع من الكبرياء المجروحة، لأنه استسلم بسهولة.

وأكمل: «طالما أنك لا تعترضين على أن أستخدم شخصاً ينفذ تصاميمك. . لأنني أعتقد أنها بشكل عام جيدة واسعة الخيال، وهذا ما

كنت أبحث عنه تماماً».

حدقت ميرندا به بغضب: «لا يمكنك أن تأخذ عملي هكذا وتعطيه لشخص آخر!».

ابتسم لها بعناد ورفع كتفيه ليوحي بأن لا مشكلة لديه في هذا. . ثم ما عساه يفعل غير هذا؟

ـ ولِـمَ لا؟

ـ لأن. . لأنها ملك لي!

ـ وكيف ستفعلين هذا؟

ـ توقف عن التظاهر بالبراءة! تعرف تماماً لماذا لا تستطيع الاستيلاء على عملي!

ـ حسب علمي. . لم تذكري شيئاً عن أخذ أجرة لهذه التصاميم حين بدأت بها. .

ـ لأنني لم أفكر بأنها ستستخدم!

ـ سيخيب أمل والدك. مع ذلك، لا يمكن عمل شيء. . فأنت مضطرة للوقوف على قدميك بنفسك إذا كان هذا يعني رفضك لعملي الذي كنت ستتلقين عليه أجراً كبيراً، والذي كان سيمثل شيئاً أساسياً جداً يضاف إلى ملفك الخاص. . فليكن! سينظر إليك الناس بجدية بعد عمل كهذا، خاصة حين يعرفون من هو الزبون. . قد لا يكون لي أثر كبير في عالم الأماكن الليلية المعروفة ونوادي الرقص، لكن اسمي في الدوائر المالية يحمل الكثير من المصداقية. . وكنت ستجدين نفسك مع عدد من الأبواب المفتوحة لك، لكن. . ها أنت. . أنت مضطرة لتدبّر أمورك بنفسك. هل نذهب وننضم إلى والدك الآن ونزف إليه الخبر؟

وقف، ودسّ يديه في جيبيه، ثم استدار لينظر إليها.

قالت: «هذا صحيح. . إذا كنت أريد العودة إلى هذه المهنة، فيجب أن يكون هذا على طريقتي، دون مساعدة أحد».

www.elromancia.com

قال بتواضع: «لأن قبولك المساعدة شيء لن تفعليه ولو بعد ألف سنة.. أليس كذلك؟».

تلاقت عيناها بعينيه العابستين، فأكمل: «لأنك لم تكوني من قبل مضطرة لقبول المساعدة من أي كان. لطالما كنت مركز الاهتمام، ولم تحتاجي أبداً لطلب المساعدة».

ـ هذا لأن قبول المساعدة منك، شيء لن أفعله ولو بعد مليون سنة.

ـ إذن، لن أشعر بوخز الضمير إن أعطيت عملك لشخص آخر، وتركته يقطف النجاح بفضلك.. وتذكري أنك كنت تساعدينني.

ـ لكنني لا أريد أن أساعدك.

والتقى الأزرق بالأزرق، كان ينتظر بوضوح أن تقف كي يغادرا الغرفة وينضما إلى والدها لتناول العشاء. لكن ميرندا وجدت نفسها عاجزة عن الحركة.

تمتم بصوت منخفض اضطرت أن تصغي جيداً لتسمعه.

ـ الكرامة تأتي قبل السقوط ميرندا.

وحل ثقل الهزيمة على كتفيها وكأنه الصخر.. واعترفت: إنها الهزيمة وإثارة التحدي..

قالت: «السبب الوحيد الذي سيجعلني أقبل العمل، هو تهديدك بإعطاء عملي إلى شخص آخر».

جلس مجدداً.. ومال إلى الوراء مسترخياً.

أكملت: «هذا لا يعني أنني أتقبل طريقة تصرفك معي.. لقد جعلت مني غبية».

ـ هذا أمر سخيف.

لم تكن ميرندا ترغب في خوض نقاش غير حاسم حول الخطأ والصواب، فهو ووالدها اتفقا على إبقائها في جهلها بشأن هويته، لتعليمها

درساً.

مهما كانت المدة التي سيجلسها هناك ويحاول تبرير ما فعلاه، فلا فرق: إنها تشعر وكأنها تعرضت إلى الإذلال.

لكن الأوراق كانت لصالحه، وكان يعرف هذا. لقد تغيرت، وربما كانت ستتغير على أي حال، بالرغم من تدخلهما. إنها تريد أن تعمل، وهو يحمل الورقة الرابحة.

قالت: «لكنني لن أذكر هذا مرة أخرى. لقد حدث ما حدث، ولا شيء أستطيع فعله. سأعمل لك، لكن الترتيبات يجب أن تكون عملية صرفة».

مدت يدها لتأخذ تصميماتها، ونظر إليها نظرة كسولة مركزة من تحت أهدابه السوداء.

ـ ليس بهذه السرعة.. ما الذي يجعلك تظنين أنني سأعطيك مخططاتك قبل توقيع العقد؟

نظرت إليه بغضب: «هذا ما يسمى الثقة».

رد باستخفاف: «لا وجود لمثل هذا في عالمي».

وتابع النظر إلى وجهها المحمر، بتعبير جاد: «في عالمي، الحياة للأفضل، وستندهشين لعدد الذين يصلون إلى الحياة، بخذلان الآخرين».

ـ بمن فيهم أنت، كما أعتقد؟

ـ أنت مصممة أن تصدقي الأسوأ عني.. أليس كذلك؟

ـ ألن تكون هكذا لو كنت مكاني؟

وراحت تخفي توترها بالعبث بالوسائد الموضوعة على الكنبة.

ـ كان يمكن لك أن تقول لي الحقيقة.

سأل بثقل: «متى؟ ربما أردت أن أفعل.. لكنني لم أجد الوقت المناسب».

www.elromancia.com

وفكرت ميرندا وهي تحاول فهم دوافعه، في أن الأمور كانت أسهل لو لم ينظر إلى تصاميمها... فقد أصبحت المواجهة الآن واقعاً لا يمكن تجنبه.

سألت بصوت منخفض: «أي كذبة أخرى قلت لي؟ هل أنت متزوج؟ هل لك صديقة؟ هل تلك الأشياء الأخرى التي وجدتها مناسبة ومسلية، تستبقيها لنفسك؟».

ـ تعرفين الأجوبة على هذه الأسئلة فلماذا السؤال؟

ـ أنا لا أعرف شيئاً عنك.

أشاح بوجهه: «لا زوجة.. لا صديق.. لا أولاد».

ـ أنا مندهشة لأنك لم تحتفظ بسرب من النساء يثرن خوفك باهتمامهن.

لماذا قالت هذا؟ هي لا تريد أن تخوض في هذا الطريق الشخصي الاتهامي... إنها تريد أن يبقى كل شيء على المستوى العملي الصرف. وإلا كيف ستتمكن من العمل؟

ـ على أي حال، لقد قلت هذا بنفسك.. أنت غني، عازب، ومشهور، أليس لهذا السبب كنت متلهفاً لتشجيع افتراضي بأنك حارس منزل بسيط، لا شيء يشغل باله ما عدا تقطيع الحطب والعناية بأملاك رب عمله؟

قال رافضاً تضخيم الموضوع: «لم ألاحظ سرب النساء خارج بابي مؤخراً».

لكنها بقيت صامتة بعناد، تريد منه أن يتابع الكلام ولو أنها تعرف أنها ستنكمش مما ستسمع.. فمن السهل جداً تصور هذا الرجل مع امرأة.

أكمل: «لقد أنهيت علاقتي بآخر صديقة لي منذ ستة أشهر».

وضحك بخشونة لعدم تصديقها: «أرادت الزواج، الأولاد، وكل

شيء، ولم أستطع أن أعدها بهذا».

ـ هكذا فعلت الشيء المناسب.. أليس كذلك؟

وكان صوتها موشى بالسخرية، لكنه لم يحاول أن يبرر نفسه.. فهو ليس آسفاً على ما فعل.. بل آسف لها، وسيعطيها مجالاً لتنفيس سخطها الغاضب طالما أرادت هذا.

وسألته متوترة: «كيف كانت؟».

ـ طويلة، سوداء الشعر.. وهادئة جداً.

على عكسي.. وأحست بغيرة متوحشة.

ـ ماذا كانت تعمل؟

ـ محامية.

ـ آه.. حقاً.. لا عجب إذن أنك اعتقدت أنني طفلة مثيرة للشفقة.

قال بصوت منخفض: «لم يكن هذا كل ما فكرت به».

لكن ميرندا كانت مختنقة بالألم بحيث لم تسمع ما قاله.

ورفعت عينيها المحترقتين كالنار إلى عينيه: «فتاة مصابة، تبحث عن شريك غني ليتولى أمرها بعد الشريك الأخير، وما الذي جعلك تظن أنني لن أحاول استخدام أنوثتي الآن وأنا أعرف قيمتك؟».

ـ ما الذي يجعلك تظنين أنني..

وهز رأسه، ووقف: «لا.. سوف يتساءل والدك عما حدث لنا».

واتجه نحو الباب، ثم وقف ينتظرها.

ـ سأحضر العقد للتوقيع يوم الأربعاء، بعدها نستطيع الذهاب لرؤية المنزل.

ارتبكت إزاء هذه العقبة التي لم تفكر بها... وهي وجودها معه بمفردهما.

قال: «إنه منزلي وأنوي أن أكون على علم بكل ما تفعلينه، وإذا كنت تعتقدين أن هذا يشكل مشكلة، فمن الأفضل أن تقولي هذا الآن».

www.elromancia.com

رفعت رأسها لتنظر إليه بهدوء: «مشكلة؟ ولماذا يشكل مشكلة؟ كما قلت لوك، من الآن وصاعداً، ستقتصر علاقتنا على العمل».

* * *

٧ ـ العمل هو العمل

www.elromancia.com

بعد ثلاثة أسابيع، كانت بالكاد تذكر ما الذي دفعها إلى توقيع اتفاق العمل معه. كان من المفترض أن يشرف على عملها بين الحين والآخر ليس إلاّ، وها هو الآن يحوم فوقها وكأنه ضميرها، ولا يفارقها حتى وهي تتصل بالبنائين وتعطيهم التعليمات حول ما سيفعلون. في أي وقت تحني رأسها لتتفحص تصميماتها كي تناقشها مع توم، مهندس البناء، كان رأسه الأسود يظهر بينهما، يطرح الأسئلة، ويناقش، ويشير إلى تحسينات صغيرة أو تغييرات في التصميم الأساسي. وكأن ليس لديه ما يفكر فيه أكثر من هذا، وكان هذا يدفعها إلى الجنون.

كان دائماً كالشوكة في خاصرتها، لا يبتعد لحظة عنها. ونتيجة لهذا، كان اتفاق عملهما، الذي افترضت متفائلة أنه سيقتل المشاعر التي تكنّها نحوه، ينقلب بالتدريج إلى ساحة معركة للمشاعر غير المعلنة.

كانت الآن أكثر تأثراً بوجوده، حتى أنها كانت تشعر به قبل أن يظهر في أي غرفة تكون فيها صدفة. أمّا سروره بتقدمها في العمل، فلم يكن سلواناً كبيراً لها.

سألته متوترة بعد ظهر أحد الأيام: «أليس لديك مكان آخر تقف فيه؟».

كانت تقف في إحدى غرف النوم، تتخيّل ما ستبدو عليه عندما تجهز وأي لون أثاث يجب أن تنصحه به.

- بالتأكيد.

وتقدم إلى النافذة البارزة، وجلس على حافتها بحيث أصبح أمامها مباشرة. كان يرتدي ثياباً قديمة تماثل في لونها بنطلونها الرمادي.

مع أن التغييرات لم تكن كبيرة، إلا أن المكان كان لا يزال غير مناسب لثياب رسمية. كان السجاد قد انتزع من مكانه، استعداداً لكسو الأرض بالخشب، ما كان يضفي على المنزل جو عمل مستمر.

قالت: «ما زلت في طريقي».

- ما الذي تحاولين أن تتصوريه؟

- أحاول تصورك وأنت تذهب من هنا وتتركني أتابع عملي.

- لم أكن أعتقد أنني أقاطعك..

وارتفع حاجباه بسرعة في ذهول بريء فنفد صبر ميرندا. لم يكن يحترم طلبها بأن تكون علاقتهما علاقة عمل فحسب.. مع ذلك لم يذكر شيئاً عن الأيام القليلة التي قضياها معاً، وكأنما لا وجود لتلك الأيام بالنسبة إليه. وكانت ميرندا قد أدركت بسرعة أن الأيام التي غيرت حياتها، كانت ذكرى بعيدة منسية بالنسبة له.

ردت بحدة: «لكنك تقاطعني».

واستقرت عيناها على جسمه المهيب الذي لم تستطع تجاهل وجوده.

قال بلطف: «أنت متعبة».

نظرت ميرندا إليه بجفاء.

- بل أنا تعبة منك ومن تسللك خلفي.

وتنهدت، ثم جلست على الأرض واستندت على الجدار، مغمضة العينين. تثاءبت، لتدرك أنه على حق.. إنها متعبة وجائعة..

- أعني، أليس لديك امبراطورية تديرها يا لوك؟ ظننت أنك لا تستطيع تخصيص أكثر من ثلاثة أسابيع في السنة للراحة من الضغوطات اليومية؟

لم تشعر به يتقدم نحوها إلى أن سمعت حفيف ملابسه وهو يجلس إلى

جانبها.

أحست بنفسها ترتجف رغماً عنها. وتساءلت عما إذا كان قد أحس بردة فعلها.. لقد أمضت الأسابيع القليلة الماضية وهي تحاول المحافظة على القناع الحديدي الذي تختبىء خلفه، لكنه كان ينسف محاولاتها ويبددها في الهواء ويرسل نظراته الآسرة لتخترق دفاعاتها، وتتجذر في قلبها الخائن.

داعبت أنفاسه أذنها وهو يستدير لينظر إلى جانب وجهها.

وتمتم: «توني يتولى الإدارة عني.. وأنا دائم الاتصال بالمكتب، ومن لديه جهاز كمبيوتر نقال، يستطيع أن يسافر».

وبقيا صامتين لبضع لحظات إلى أن أحست ميرندا بصمت أكبر.. صمت لا يحتمل.

وفتحت عينيها بسرعة.

سألت: «أين هم البناؤون؟».

وابتعدت قليلاً عنه، ثم ندمت لأنها فتحت عينيها، إذ سحرتها رؤيته أكثر مما تقوى على الاحتمال.

- ألا يجب أن يكونوا في العمل؟

- لقد ذهبوا.. صرفتهم باكراً.. اليوم هو الجمعة.

- ذهبوا؟ لكن الساعة فقط..

ونظرت إلى ساعتها، وشهقت: «إنها السادسة.. يجب أن أذهب!».

ووقفت تشد سترتها وتدس يديها في جيبيها لتتأكد من وجود حافظة نقودها ومفاتيح سيارتها.

- يجب أن أعود إلى لندن.. سأتأخر.. كان يجب أن أغادر عند الساعة الخامسة.

- إلى أين أنت ذاهبة؟

كانت لهجته خالية من التعبير وهي تنزل السلم بسرعة وهو يلحق بها.

www.elromancia.com

ـ أين هي كتبي؟
ولمحتها قرب النافذة في أسفل السلم. فحملتها وهي تفتش في جيبها عن مفاتيح السيارة التي فتحتها بجهاز التحكم عن بُعد.
ـ سألتك إلى أين أنت ذاهبة؟
قالت، متجاهلة الإصرار في صوته: «لديّ موعد».
ـ حسن جداً. . ستضطرين إلى إلغائه.
ـ ماذا تعني أن ألغيه؟ لقد قمت بالترتيبات منذ أسبوع، ولا أنوي إلغاءه! أنا لم أخرج من المنزل منذ أسابيع!
قال بهدوء: «آسف».
لكن لم يبدُ أي أثر للأسف في صوته.
ـ أوقات فراغي ملكي وحدي ولا يحق لك أن تملي عليّ أفعالي.
قال بخشونة: «ولا أنوي هذا. لكنني سأكون خارج البلاد حتى يوم الخميس القادم، ويريد توم أن نأخذ قرارات محددة حول الحديقة الزجاجية قبل أن أسافر».
سألت ميرندا: «ألا يمكن لهذا أن ينتظر؟».
وبدأت تتخيل نزهتها إلى المسرح مع أصدقائها. فبعد أن قطعت كل اتصال ببعض الأصدقاء، تعمدت بجهد أن ترتب لقاء للمقربين منها، ولو فقط لتبرهن لنفسها أنها ما زالت قادرة على الاستمتاع من دون وجود لوك دوكروا. . وأرادت كذلك، أن تبرهن لوالدها أن حياتها الاجتماعية لم تتبدد، وأنها لم تنقلب فجأة إلى مدمنة عمل مخبولة، الأمر الذي يبدو أنه يشجعه.
ـ أولا ينتظر موعد خروجك؟.
سألت: «وكم من الوقت تريدني؟».
ورمقها بابتسامة انتصار: «أوه. . ساعة على الأكثر».
وتراجع ليسمح لها بصعود سيارتها: «لِمَ لا نلتقي، لنقل. . ».

ورفع كم قميصه لينظر إلى ساعته: «. . عند الثامنة؟ في مطعم «سكاربينا». . يمكن أن نناقش الخطط ونحن نأكل شيئاً».
شيء يأكلانه. . وفي مطعم. . ستكون هذه المرة الأولى التي سيكونان فيها معاً بعيداً عن البنائين، والمنزل، وتوم. . . وأحست ميرندا بقلبها يقفز من صدرها لهذه الفكرة. حاولت التفكير بعذر معقول لرفض الدعوة. لكن، تحت نظرة عينيه الزرقاوين، المنتظرتين اللامعتين، خذلها الإلهام وسمعت نفسها توافق متلعثمة.
بعد ساعة ونصف، نظرت ميرندا إلى صورتها المنعكسة في المرآة. العمل في المنزل كان قد ألغى الحاجة إلى التبرج. وحين فتحت الدرج على مجموعتها النادرة من مساحيق الوجه، وبدأت بالتبرج، أحسّت بعدم الثقة والتردد بسبب قلة استخدامها.
أمّا الزيّ الذي اعتبرته محتشماً ولائقاً للمناسبة، فقد بدا لها الآن مثيراً، لكن الوقت قد فات لتغييره.
قال والدها من خلفها: «ساحر جداً. . أي مسرحية ستشاهدينها الليلة يا عزيزتي؟».
قالت ميرندا: «لقد ألغيت حضور المسرحية».
واستدارت ثم انحنت لتأخذ حقيبتها.
ـ في الواقع، تغيرت الخطط، وما عدت ذاهبة إلى المسرح الليلة.
نظر إليها والدها بلهفة: «ولِمَ لا؟».
ابتسمت له، وأعلنت بخبث: «مضجرة جداً! فقررنا أن نستقل طائرة إلى باريس، ونمضي نهاية الأسبوع بجنون».
تحولت اللهفة إلى خيبة أمل. واستطاعت قراءة أفكاره بسهولة ككتاب مفتوح. لقد كان سعيداً كالطفل منذ بدأت تعمل، وهبطت حياتها الاجتماعية حتى الصفر. . ولا بد أنه الآن يتساءل عما إذا كان حماسها نحو عملها الجديد قد بدأ يتضاءل أمام النشاطات المغرية التي لا جدوى منها،

www.elromancia.com

والتي كانت تتحمّس لها في الماضي.

ـ لا . . لم تفعلي هذا!

احتجاجه المذعور فضح الكثير، وكان موقفه عدوانياً لشدة خيبة الأمل . . وبدأت تضحك.

قالت، تريحه من بؤسه: «لا . . لم أفعل هذا . . في الواقع، رب عملي يحتاج أن يراني لمناقشة أمر منزله، وأجبرني على إلغاء موعدي لهذا المساء».

ـ أجبرك؟ لم أكن أعتقد أن مثل هذا أمر ممكن.

ردت ميرندا: «لو عرفته لفهمت. فالرجل يظن نفسه قادراً على كل شيء لو أراد. على أي حال أبي . . ستحضر سيارة الأجرة لتقلني في أي لحظة الآن، بإمكانك الاتصال بي إذا احتجتني».

ـ حبيبتي . . لن أقاطع أبداً أمسيتك مع لوك.

فتحت فمها لتقول له إن أمسيتها مع لوك لا دخل لها بالمتعة، ويمكن مقاطعتها في أي وقت كان ولأي سبب كان، ولو تافهاً، لكن وصول سيارة الأجرة منعها عن ذلك، فتركت والدها يبتسم بسعادة في الردهة. وما زاد غمها، أنه لم يكن نادماً على مؤامرته مع لوك . . تمنت ألا يفسر الآن علاقتها بلوك على عكس ما هي عليه . . . وإلا فسيواجه صدمة قاسية حين ينتهي العمل ويذهب كل منهما في طريقه.

كان المطعم يعجّ بالناس حين وصلت. لم يكن هناك إنارة خافتة، أو موسيقى حالمة، الأمر الذي طمأنها وهدأ من روعها. كان لوك ينتظرها على الطاولة، وقد جاء بحقيبة أوراقه معه، وكان يتفحص خرائط المنزل.

اغتنمت ميرندا الفرصة لتنظر إليه. كان يرتدي سترة كشمير عاجية اللون وبنطلوناً زيتياً. ولاحظت أن ثيابه لم تخفِ أبداً تناسق جسمه . . فقد كان من الرجال الذين يثيرون الخيال دون وعي منهم، كانت لا تزال تحدق به بجرأة حين رفع نظره إليها . . وأحست بلسعة الذنب تغزو وجنتيها.

سأل: «هل تمكنت من إلغاء خططك؟».

ووضع الأوراق بعيداً وهي تجلس قبالته حول الطاولة المستديرة.

ـ إذا كنت أذكر، فأنت لم تعطني خياراً آخر.

وافقها: «أوه . . لا . لم أفعل . . أليس كذلك؟».

ثم جلس إلى الخلف في كرسيه، ونظر إليها وكأنه حر في أن يتأملها على هواه.

قال معلقاً: «أنت تضعين التبرج . . أتعلمين، لقد اعتدت على رؤية وجهك عادياً وشعرك مربوطاً إلى الخلف . . أشعر وكأنني أرى شخصاً آخر».

أعلنت ميرندا بصوت مكتوم: «أنا أتبرج دائماً حين أخرج».

ـ همم . . من المؤسف أن تضطري لإلغاء موعدك.

وراقبها بينما كان النادل يملأ كوبيهما ثم أكمل: «هل كنت ستذهبين إلى مكان مثير؟».

وأخذ رشفة من العصير، وتابع النظر إليها من فوق حافة كوبه، وقد بدت عيناه الفضيتان المثيرتان للاضطراب، مبهمتين بشكل غريب.

ودّت لو تكذب عليه، لكن كذبتها لن تنجح لأن لوك لن يصدقها إن قالت له إنها ذاهبة إلى باريس لقضاء عطلة الأسبوع، فبطريقة ما بدا وكأنه يعرفها . . وبالتأكيد يعرف أنها لم تعد مهتمة بالحياة الاصطناعية التي اعتادت أن تعيشها. فقد تمكن من انتزاع هذه الحقيقة منها خلال إحدى الجولات العديدة التي قاما بها في المنزل، وفكرت في أن تمكنها من معرفة كمية كافية من المعلومات عنه خلال هذا، كان لمصلحتها.

ردت صادقة: «كان يمكن أن يكون مثيراً بالنسبة لي . . فقد خططت للذهاب إلى المسرح في الواقع، لرؤية مسرحية «البؤساء» . . أعرف أنها تعاد منذ قرون، لكن هل تصدق أنني لم أشاهدها يوماً؟».

اعترف مع ضحكة قصيرة: «أصدقك، في الواقع . . فأوقات

المسرح، تتزامن مع أوقات النوادي الليلية».

نظرت ميرندا إليه بموافقة خجولة.

- حسن جداً.. أياً يكن، لقد أرجأت الأمر إلى السبت القادم.. على أي حال، أردت أنت أن تناقش مسألة الحديقة الزجاجية.. لكنني لا أعتقد أن هناك مشكلة بشأنها.

تمتم لوك وهو يمرر إصبعه على حافة كوب العصير: «أردت فقط التأكد من أنها ستكون في المكان المناسب».

وارتشف عصيره دفعة واحدة، ثم أكمل: «على أي حال، لن يكون المنزل مثل شقتي».

أحست ميرندا بالفضول وعلاماته.

- لا؟ وكيف هي شقتك؟

وأكملت بسرعة، كي لا يعتقد أنها تلمح إلى دعوة.

- فضولي كمصممة يدفعني لمعرفة ذلك.

- شقتي.. هي.. غير معقدة كثيراً.. ورجالية جداً.. أقصد أنها تفتقر إلى اللمسة الأنثوية.. كل شيء فيها عملي.

قالت بخفة: «ظننت أنك تحب هذا».

وتوقفت لتطلب الطعام من النادل، ثم ذكرته: «لقد قلت لي إنك لا تحب النساء المتطفلات وأعتقد أن هذا يشمل باقات الزهور والأواني الزجاجية المزخرفة».

- لقد قلت هذا.. أليس كذلك؟

وبدا كأنه يسترجع الذكرى، ويقلبها في رأسه.

- لكن.. الآن.. بدأت أعتقد أن أيام شقتي تقترب من نهايتها.. فالرجل لا يمكنه العيش بسعادة لفترة طويلة مع أثاث قليل، ومطبخ صغير، وآلة تمارين رياضية في غرفة الضيوف.

- إذن، أنت تتوق إلى بيت عائلي مكتمل.

- هذا كلام قوي قليلاً.. لكن، ربما حان الوقت للتفكير بالاستقرار ورؤية ما سيحدث.

- وهل من أحد معيّن في رأسك لملء هذا الفراغ؟

أحست بانقباض في معدتها.. من الطبيعي لأي رجل أن يرغب بعائلة. وربما حرّك المنزل هذه الأفكار.. وربما اشتراه استجابة لتلك الأفكار.. فما الذي جاء قبل الآخر، الدجاجة أم البيضة؟ وبدا من السخرية المريرة أن تجدد منزل الرجل الذي تحبه، كي يضعه عند قدمي المرأة التي يريدها في النهاية أن تشاركه حياته.

رد ضاحكاً: «هل يمكن أن أتغاضى عن هذا السؤال؟».

ردت بتكشيرة.. وتمنت أن يفسرها كابتسامة ودية غير مهددة.

وسألت بأدب، مقاومةً: «وهل تنوي إنجاب أولاد؟ المنزل بالتأكيد مثالي لتربية عائلة. هو شاسع ويحتوي حديقة كبيرة».

- إنه فعلاً مثالي.. أليس كذلك؟ لم أستطع التفكير بتربية عائلة في لندن. فقد كبرت في ريف «مارويتشاير» الواسع، ولا أستطيع تصور أن يكون هناك أمكنة للعب، وحديقة عامة لعطلة الأسبوع، فقط إذا سمح الطقس.

وقادهما هذا إلى حديث عن الريف مقارنة بالمدينة. وكان جدالاً حامياً. كان لديها انطباع بأن هناك امرأة في حياته، وأخذت الفكرة تتردد بإلحاح في رأسها، إلى أن تحول حديثها إلى صمت مطبق.

لم يخطر ببالها سبب لقائهما أصلاً إلا بعد أن أنهيا قهوتهما. في الواقع، لم يقضيا لحظة في مناقشة أمر الحديقة الزجاجية، وهذا سهو تجاوزه بسهولة بأن اقترح ذهابهما إلى شقته للبحث في الخرائط على مهل.

- أنت لم تأتي بسيارتك، أليس كذلك؟

هزت ميرندا رأسها نفياً وبدأت تقول: «لكن..».

- جيد.. بوسع سائقي أن يقلك إلى منزلك بعد أن تنتهي.

www.elromansia.com

ـ الوقت متأخر قا[illegible]!. . .

قال بتواضع رافعاً يديه باستسلام: «هذه غلطتي. . لكنني فعلاً بحاجة أن أناقش هذا معك قبل مغادرتي البلاد كي تتأكدي أن توم يعرف ماذا يفعل، وإذا ظننت أن والدك سيقلق إذا لم يجدك في البيت، فلماذا لا تتصلين؟».

ويادرها بابتسامة، فتلاشى احتجاجها ليصبح غمغمة خافتة غير مسموعة. وراقبته بصمت، وهو يستدعي سائقه عبر هاتفه النقال لينتظرهما خارج المطعم.

بينما كانت تفكر متوترة بهذا التعديل الجديد في الخطط، الذي قد يبدّد دفاعاتها، أخبرها عن عمله، وجعلها تضحك عندما وصف نفسه بأنه «عبد للمكتب» بالكاد لديه وقت للتمرين. ولهذا يحتاج إلى آلة تمارين رياضية في غرفة الضيوف.

رداً على هذا، احتضنت ميرندا معطفها، بالرغم من الدفء في مؤخرة سيارة الجاغوار التي يقودها السائق، تلفظ بملاحظات عرضية حتى لا يكون البديل الوحيد هو الصمت.

لم يكن الوقت الذي قضياه في السيارة يتجاوز خمساً وعشرين دقيقة، ولكنه بدا لها دهراً. وسمعت لوك يقول لسائقه إنه سيكون جاهزاً بعد ساعة تقريباً. وخرجت من السيارة مذعورة، تلحق به إلى شقته الكائنة في الطابق الثالث من مبنى فخم.

وتبين أن الشقة جناح من النوع الذي تراه عادة في المجلات. . والحقيقة أنه لم يكن يكذب حين قال إن أثاث الشقة متقشف. . لكن، كان هناك وفرة في الذوق. كان الجلد الأسود يطغى على غرفة الجلوس. . وحدها سجادة فارسية في الوسط، تضفي على الغرفة بعض اللون.

لم يسمح لها بأن تتأمل طويلاً وتستوعب كل التفاصيل التي قد تعطيها فكرة عنه وقادها لوك إلى المطبخ، الذي كان بحجم غرفة الجلوس تقريباً

ومجهزاً ببذخ بأدوات عديدة، بما فيها آلة صنع كابوتشينو ضخمة.

قال: «أنا مدمن على القهوة. . ومولع بالكابانشينو».

وبدأ يشغّل الآلة بخبرة. وبعد دقائق قليلة، أعطاها فنجاناً يتصاعد منه البخار وفوقه طبقة رغوة شهية.

ثم فتح خرائط توم على طاولة المطبخ المصنوعة من الخشب الأسود الصلب، والمحاطة بكراسٍ معدنية لها وسائد من قماش الخيش. ونظرت ميرندا إليها بارتياب، ثم أدارت نظرتها إلى لوك الذي جذب كرسياً وجلس، ويده الكبيرة تحتضن فنجان القهوة الذي يتصاعد البخار منه.

قالت ببطء وهي تنضم إليه: «كل هذا لا معنى له».

كل الأفكار طارت من رأسها لحظة غادرا المطعم، وبدت يقظة متوترة.

قال: «ما الذي لا معنى له؟».

كان قد خلع السترة العاجية اللون ورفع كمي قميصه حتى المرفقين. . أحست هنا، في هذه الشقة، وكأنها كشفت عن وجه آخر لهذا الرجل المعقد. . أليس من المفروض أن تكون هي المعقدة الغامضة؟ لا عجب أن رأيه الأول بها كان أنها سطحية، وربما لا يزال يفكر هكذا. . وليست عميقة أو معقدة تثير الحيرة مثل المحامية التي كان على علاقة بها.

قالت ميرندا بصراحة: «هذا المكان ليس كالكوخ. . أليس كذلك؟ كل هذا الكروم واللون الأسود في كل مكان. . الأثاث في الكوخ كان صدئاً، وقديماً كثيراً، أي نوع من الرجال أنت؟!».

رفع حاجبيه الأسودين: «تجعلينني أبدو وكأنني شخص يعاني من انفصام الشخصية».

والتوى فمه بابتسامة: «هل تبدو كل ملابسك مثل بعضها؟ هل كل أحذيتك باللون ذاته؟ أنا رجل أحب التنويع. . ألا نحبه جميعاً؟».

ـ أنت تعرف ماذا أعني.

www.elromancia.com

- أعرف ماذا تعنين.. أعتقد أن الكوخ يشبهني أكثر، قديم وبالي..
لكن منذ ثلاث سنوات حين اشتريت المنزل جاءت مصممة ديكور لترتب لي الشقة، ولا بد أنها تصورت أنني رجل يحب العيش في محيط من التقنية العالية.

وهز كتفيه: «يناسبني هذا.. فأنا أنام هنا فقط، وإذا احتجت أن أقيم حفلة لأحد، أخرج إلى مطعم».

- ولماذا لم تتذمر حين صممته؟ أنت تزعجني بتعليقاتك.. فلماذا تركتها تجهّز شقة لا تعجبك؟ أنا مندهشة لأنك لم تلاحق عملها خطوة بخطوة.

قال لوك بجرأة: «كنا حبيبين حين وافقت أن تنهي لي هذا، حتى أنه كان لنا خطط غامضة للزواج.. لكن، وحين انتهت، كنا قد انتهينا كذلك. ولم تتح لي الفرصة لأفعل شيئاً بشأن التغيير».

سألت بهدوء: «ألهذا السبب أنت حسّاس إلى هذا الحد نحو الجنس الآخر؟ لأن امرأة أحببتها خذلتك في الماضي؟».

أخفض لوك عينيه: «ربما.. لأنني لا أحب أن أفكر بأنني ضعيف.. ربما أنا ضعيف. ربما هناك جزء مني لا يزال متعلقاً بحطام تلك العلاقة، لهذا السبب لا أتمكن من التخلص من كل هذا».

وهز كتفيه العريضتين مجدداً.

- ربما أشعر أنني إذا افترقت عن كل هذا فأنا مضطر في النهاية لوداع المرأة الوحيدة التي حطمت قلبي.. ومن يعرف.. ربما مسألة هذا المنزل كله هي مجرد أمل بأنني سأتمكن من استعادة الشيء الذي خسرته.

أحست ميرندا بالدموع تترقرق في عينيها.. وأملت أن تكون دموعها شفقة على هذا الرجل الجالس أمامها، يعترف بانكساره وضعفه، وليس شفقة على نفسها. كل كلمة قالها كانت أشبه بخنجر يجتاز قلبها وبطنه، فأحست وكأنها تنزف من الداخل.

همست: «أنا آسفة».

تمتم: «أرجو ألا يتغير رأيك بي».

ونظر إليها: «لأنني استسلمت لإظهار مشاعري».

قالت بنعومة: «أعرف أن ليس من السهل عليك أن تعبّر عن مشاعرك.. لكن لا تخجل».

- هل تحاولين مؤاساتي؟

- هل.. ماذا؟

نظر إليها، فلاحظت أنه لم يكن يبكي.. بل يضحك... حتى أنه لم يعد قادراً على لجم ضحكه الصامت، فقهقه عالياً وهو لا يزال ينظر إليها.

قالت ميرندا بحدة: «أنت.. أنت..».

- أنا آسف.. لم أستطع المقاومة.

كان بالكاد يستطيع تشكيل جملة مفهومة وسط ضحكه.

صاحت: «هذا يكفي! أنت محتال! سأذهب!».

سألها: «أوه.. أين حسّ المرح لديك؟».

استعاد وعيه بصعوبة: «آخر مرة تفلسفت معك في الكوخ، لم تترددي في أن تصديني، وكنت أستجيب لضحكك».

وابتسم بأسف لها، وأحست ميرندا بشفتيها تنفرجان عن ضحكة، وجلست مستقيمة، وتظاهرت بعدم الاكتراث أمام تهريجه الطفولي.

قال لها وهو لا يزال يبتسم: «أنت فتاة باردة كالثلج».

- أتعني أن كل هذا كان كذباً؟

اعترف لوك: «ليس عندما قلت إننا كنا حبيبين.. كنت فعلاً أخرج مع ليزي، وهي فعلاً نفذت هذه الشقة الكارثة وفاجأتني بها بعد عودتي من نيويورك، ولقد خططنا للزواج، لكن كل شيء انتهى.. فنحن لم نكن نتناسب لأكثر من تناول وجبات الطعام في الخارج».

صمت قليلاً، ثم أكمل: «بقينا صديقين.. وهي عادت إلى أميركا،

وتزوجت بعد ستة أشهر من انفصالنا، ولديها ابنة، وتنتظر مولوداً».

أضاف للتأكيد: «ولم أعد تصميم هذا المكان لأنني دائم الانشغال، وفي النهاية كما أعتقد، اعتدت عليه، كما اعتدت عليك..».

تناهت هذه الكلمات إلى أذني ميرندا كاللحن. وأحست بدوار.. لأن القصة التي لفقها، والتي أثقلت معنوياتها، كانت غير صحيحة.

قالت بصوت حاد: «إذا كنت قد انتهيت من فرحتك، ربما نستطيع العودة إلى العمل؟».

نظر إليها بثبات، وقال: «العمل».

وجمع الأوراق وخلال نصف الساعة التالية، تفحصا تصاميم المنزل، بينما كانت ميرندا مشغولة بتسجيل الملاحظات حول القياسات.

حين انتهيا أخيراً، أعطاها الأوراق، وجلس إلى الوراء شابكاً ذراعيه خلف رأسه.

ـ أنت تستمتعين بهذا.. أليس كذلك؟

نظرت ميرندا إليه، وقد عجزت عن الكلام: «لقد ألغيت خططي لهذا المساء.. فكيف يمكن أن تسألني ما إذا كنت أستمتع بهذا؟ أعني.. أجل. كانت أمسية لطيفة.. الطعام في المطعم كان جيداً جداً. وأعتقد بالنسبة للرفقة..».

وأحست بقلبها يخفق في صدرها بسبب الطريقة التي كان ينظر إليها فيها، وكأن كل ذرة من تركيزه منصبة عليها.

ـ.. حسن جداً.. أجل.. يمكنك أن تكون رفيقاً مسلياً بما يكفي حين تحاول..

لماذا تخدع نفسها؟ مجرد وجودها في صحبته، كان يكفي ليجعلها تشعر وكأنها تسير فوق السحاب، ومن دون وجوده، حياتها فارغة.

قال: «في الواقع، كنت أعني أنك تبدين مستمتعة بعملك».

لزمها بضع ثوانٍ لتفهم أنها أساءت فهم ملاحظته. ثم احمرت وهي

تحاول مذعورة أن تتذكر ما إذا قالت أي شيء يورطها.

تنفست بعمق.. وتظاهرت بتفحص ساعتها: «أجل.. بالطبع! أجل، كان هذا مرحاً.. أعني أنني أشعر كأنني أقوم بشيء مفيد، وهذا أمر جيد».

ـ جيد!

ـ هذا صحيح.. والآن.. في أي وقت قلت إن سائقك سيأتي ليأخذني؟

وقفت، لتجمع شعرها بيد واحدة، ثم تمرره فوق كتفها.. وبعد دقائق متكاسلة من التفرس بها ودراسة توترها، وقف في الوقت الذي تصاعد فيه رنين جرس الباب.. إنه السائق!

قال بصوت منخفض وقد اتجهت نحو الباب: «أتعلمين.. لا داعي للتوتر في وجودي. ألم أحترم رغبتك بأن تبقى الأمور على مستوى العمل فقط؟».

أحست ميرندا أن كلماته تداعب مؤخرة عنقها، ثم تمر بتكاسل على ظهرها لتجعل الشعر الناعم على ذراعيها يقف.

قالت: «أجل.. وكان هذا أفضل، لأنني ما كنت لأقبل هذا العمل لو لم تعدني».

نظرت إلى باب المصعد بارتياح.. وضغطت على الزر وانتظرت بصمت، وعندما وصل المصعد أخيراً استدارت لتنظر إليه، وهي تحتضن حقيبتها والأوراق إلى صدرها بطريقة دفاعية: «شكراً على العشاء».

قال: «أوه.. سأرافقك إلى الأسفل».

وقبل أن تستطيع الاحتجاج، دخل المصعد وملأ المساحة الضيقة.

قال يحدثها: «في حال كنت تتساءلين...».

وتوقف المصعد، وانفتحت الأبواب: «لقد لزمني الكثير من قوة الإرادة».

www.elromansia.com

وأمسك لها الباب لتخرج . . وسأل: «ألا تريدين معرفة عمّ أتكلم؟».

ـ لا!

ـ جبانة . . بالطبع تريدين.

وإذ مر من أمام البواب، حيّاه البوّاب ببذلته الرسمية. ثم قال قرب الباب الزجاجي الخارجي: «حسنٌ جداً . . سأقول لك على أي حال».

وضع إصبعاً تحت ذقنها وأدارها لتواجهه.

ـ بذلت جهداً كبيراً لأبعد يديّ عنك.

أخذت ميرندا نفساً عميقاً وأغمضت عينيها . . سيعانقها . . وكم كانت تودّه أن يفعل ذلك.

قال لها: «لكن العمل هو العمل».

وقبّل جبينها برقة: «ليلة سعيدة».

***

٨ ـ مناورة

ماذا يعني كل هذا؟ هل يعني أنه يريدها؟ . . وصرفت النظر عن الفكرة مجدداً. هذا الكتمان للمشاعر هو بالضبط ما يقود المرأة إلى الإحساس باليأس . . ولم تكن ميرندا قد أحست من قبل باليأس في حياتها.

قطبت وهي تحدق إلى نماذج البلاط التي في يدها . . لا شك أن العمل كان هادئاً آمناً في الأسبوع الماضي وهي تعرف أن لوك في بلد آخر لكنها كانت تفتقد لوجوده المتطفل . . افتقدت للطريقة التي كان يخفق فيها قلبها كلما سمعت صوت سيارته، وذلك الشعور الحاد بالدوار كلما تناهى إلى مسامعها وقع قدميه . . افتقدت تلك الأحاديث المشاكسة التي كانت تتسلل دائماً إلى نقاشهما العملي وتلك الطرائف التي كانت تجعلها تبتسم، حتى وهي تتظاهر بالنظر إلى السقف في سخط مزيف . . واشتاقت لرؤيته كل يوم ولوجوده قربها.

أحست أنها التقت أخيراً برجل حياتها، ولم تعد تعرف كيف تسيطر على الموقف . . والأسوأ، أن الموقف يسيطر عليها. وكلما زادت مقاومتها للحفاظ على تمثيلية رباطة الجأش، كلما زاد إحساسها بالغرق في مستنقع عميق، كان يسحبها ببطء نحو عمقه الذي لا مفر له.

كان يجب أن يعود إلى البلاد يوم الخميس. لكنه اتصل ليشرح أن العمل سيؤخره أكثر مما توقع، بحيث أنه لن يكون موجوداً قبل بداية الأسبوع التالي.

www.elromancia.com

قالت له بلهجة اتهام: «لكن يجب أن تختار نوع البلاط الذي تريده للمطبخ».

ـ اختاريه أنت عني.

ـ أنا؟ لا أستطيع فعل هذا.

ـ ولماذا لا؟ أثق بذوقك.

لم تكن ميرندا راغبة في اختيار البلاط عنه.. وأدركت أنها تريده أن يكون إلى جانبها، يناقشها بما يريد، ويشعل روحها بقربه منها. لكن، ها هي تختار البلاط.. كان يجب أن يكون الموقد زيتي اللون، فقررت استخدام اللون الأحمر المصنوع باليد واللون العاجي، لتعطيه مظهر النظافة.. وسيتناسب هذا مع الأرضية ذات اللون الترابي ومع الخزائن العاجية التي ستتركز في مكانها عندما ينتهي كل شيء.

وراحت تأمل في أن يحل الغد بسرعة لأن الذهاب الى المسرح مع الأصدقاء سيلهيها عن أفكارها التي تكاد تدفعها إلى الجنون. ولكن بعض الرجال هم ما تحتاج إليه لإعادة تفكيرها الشارد إلى الطريق الصحيح القويم.

سترتدي ثياباً من أجل أن تؤثر في الآخرين. ملابس لم ترتدها منذ مدة طويلة. سوف تضحك وتمرح، وتتوهج فتنة سحراً وإشراقاً. وستكون ظريفة ومثيرة، وتعبث بمرح مع الرجال الثلاثة الذين دبرت كلير وجيسي الموعد معهم، حتى ولو كانوا يبدون أقرباء مقربين لأحدب نوتردام.

قررت متجهمة أنها سوف تمرح.. لقد كانت تمرح طوال الوقت، وستعود إلى عادتها حتى ولو قتلها هذا.

حل يوم السبت لتجد نفسها تشتري شيئاً جديداً وجميلاً لترتديه، بعد أن شجعها والدها الذي تمتم شيئاً حول العمل دون مرح.

قال: «لم أكن أعتقد أنني سأقول هذا حبيبتي.. لكن، حان الوقت لتخرجي وتقضي وقتاً ممتعاً».

ورفع حاجبيه مستفهماً: «شاب أو شابان سيذهبان معكنّ والفتيات كما فهمت؟».

ـ بل ثلاثة شبان، وثلاث فتيات، ومن يعلم يا أبي، قد أجد فتى أحلامي.

يا للسخرية! ففتى أحلامها بعيد عنها آلاف الأميال، وعلى الأرجح يقضي وقتاً طيباً في غيابها.

رد والدها: «من ناحية أخرى.. قد تجدين نفسك في صحبة فريدي آخر».

وهذا محتمل جداً، كما فكرت ميرندا بعد ساعات وهي ترتدي ثيابها استعداداً للذهاب إلى المسرح.. على الأقل، الكل لديه عمل.. وعمل محترم، وليس مجرد وظيفة أحذية مفصلة على مقاسه من عمل للعائلة، لا علاقة له أبداً بفكرة العمل الجاد.

كانت قد اشترت فستاناً أسود ضيقاً، أظهر جمال قوامها وأبرز لون شعرها الأشقر. وانتعلت حذاء عالي الكعبين. ولم تضع من الحليّ سوى سوار فضي وسلسلة رفيعة يتدلّى منها حجر كريم.

أحست أنها جذابة، وقالت لنفسها إنها ستمثل دورها هذا. وهذا ما فعلته مع مرافقها بينما كان الجميع يستمتع بشرب العصير قبل فتح الستارة، وكانت كلير قد طلبت من ميرندا ألاّ تقع على مهرج آخر كفريدي.. ولكن مرافقها جايمس، عكسه تماماً من الناحية الجسدية فهو طويل، أسمر أسود الشعر، له اهتمام كبير بالكومبيوتر، وكان راضياً جداً لاهتمام مرافقته الشديد بكل كلمة يقولها.

وبطريقة غريبة، سمعت نفسها تتحدث معه وتطرح عليه الأسئلة، الواحد تلو الآخر، عن موضوع لا يهمها مطلقاً.

فكرت وهي تستريح في كرسيها وترحب بعتمة المسرح. هذا هو كل ما في الأمر.. دعك من الاكتئاب والشوق لرجل لا يحبك! دعك من

www.elromancia.com

تحليل كل كلمة يقولها، وتشريحها لفهم المعاني المختبئة بين السطور! دعك من دغدغة بشرتك عند كل تلامس عرضي، ومن الخيال الذي يلهبه مجرد التفكير به!

قال جايمس: «إذن. . أخبريني قليلاً عنك».

كان قد حان موعد الاستراحة، وخرج الجميع لتناول الشراب.

ارتشفت ميرندا قليلاً من العصير: «وماذا هناك لأخبرك؟».

ورفرفت رموشها بحياء، تشعر بأنها تخادع إذ توحي بأنها فتاة لا هم لها في العالم.

قالت كلير وهي تضحك: «ميرندا عاملة ولدت حديثاً».

وكان هذا يعني أن تبادر بالحديث عن عملها.

وسأل جايمس، حين لاحظ أنها أنهت كلامها: «ولمن تعملين في الوقت الحاضر؟».

لن تسمح لنفسها بأن تستسلم في هذه المرحلة المبكرة من الأمسية!

ـ أوه. . لا أحد مثير للاهتمام. . اسمه لوك دوكروا. . . من المستبعد أن تكون قد سمعت عنه.

قال جايمس بشكل يوقع الكآبة في النفس: «أوه. . الجميع سمع عنه. . إنه شخص له شأنه».

ردت ميرندا دون اكتراث: «حقاً؟ لا يبدو لي كذلك حين يتردد حول ما يجب أن يحدث ولماذا؟ في الواقع. .».

ولم تستطع مقاومة إقحام وجهة نظرها: «. . حين يكون معي، يكون تافهاً إلى حد لا يصدق».

ـ أوه. . هل هذا صحيح؟

التفت الجميع إليها. . . وتقدم لوك إلى دائرتهم الصغيرة وأخذ ينظر إليها بابتسامة متسلية على وجهه الوسيم الأسمر.

ماذا يفعل هنا؟ وفي ليلة اختارتها لتنسى؟

ـ كنت تتكلمين عن شخص تافه؟

ودفعها سؤاله إلى إغلاق فمها.

ـ ماذا تفعل هنا؟ ظننتك في أميركا!

ـ ألن تعرفيني إلى أصدقائك؟ أين هي لباقتك؟

ـ لم تقل لي إنك ستأتي لمشاهدة المسرحية.

ـ لم أكن أعرف أن عليّ إخبارك بتحركاتي من الصباح حتى المساء.

كان أصدقاؤها الخمسة يراقبون هذا المشهد بفضول ظاهر، حتى أن ميرندا أحست بأن الأسئلة تحرق أدمغة صديقاتها وهن يحاولن جمع أفكارهن حول الرجل الواقف أمامهن، ومقارنتها بالصورة التي رسمتها عنه كرب عمل غير مثير، لديه الكثير من المال.

أنهت التعارف، وكانت على وشك أن تستدير نحو جايمس متعمدة، حين أشار لوك إلى شخص خلفها.

ـ هذه إليانور.

ودخلت الحلقة امرأة سوداء الشعر وأنيقة، لم تكن جميلة بالمعنى الحرفي للكلمة، لكن كان لها جاذبية تنبع من دلائل الذكاء. شعرها الطويل مربوط خلف عنقها، وثيابها تشير إلى الميل العملي أكثر منه إلى العبث. . وفكرت ميرندا. . وهي تشعر بالغيرة الغامرة، وترجع إلى الخلف لتدعم نفسها: هذا هو النقيض تماماً لثوبها الأسود الضيق الذي ينم عن المرح، فقد بدا لها الآن سخيفاً بالمقارنة مع بذلة اليانور بالبنطلون، والمفصلة بدقة.

أنهى شرابه ونظر حوله: «اسمعي. . اليانور وأنا خططنا للذهاب إلى نادي «الجاز» بعد المسرحية، مع بقية مجموعتنا، فلماذا لا تذهبون جميعاً معنا؟».

خدّرت عيناه الزرقاوان الكسولتان اللتان تركزتا عليها بالكامل، أعصابها المتوترة.

www.elromancia.com مـرمـوريـة

وقالت ميرندا: «في الواقع.. كنا جميعاً سنذهب لتناول شيء بعد المسرحية».

قاطعتها كلير بسرعة: «لكننا سنحب أن نغير خطتنا. وقد تستفيد ميرندا من ليلة في الخارج».

تمتم جايمس: «فكرة جيدة».

واقترب من ميرندا بطريقة متملكة، الأمر الذي تقبلته، فهي لا تستطيع الاحتجاج.

وأكمل: «هذا يعطينا مزيداً من الوقت لنتعرف بعضنا».

كانت على وشك أن تصد أي هدف مستعجل، حين رأت لوك ينظر إليها، والتعبير في عينيه الفضيتين مغطى برموشه السوداء السميكة.. وأطلقت ضحكة رنانة مرتفعة، وقالت بمرح: «ولماذا لا؟ قد يكون هذا ممتعاً. آخر مرة ذهبت فيها إلى نادي «جاز» كانت منذ أربع سنوات، مع والدي.. ولسوف يتأثر كثيراً لو فكر أنني أعيد استكشاف ذوقه في الموسيقى».

أعطاهم لوك اسم النادي وعنوانه، وإذ تصاعد صوت الجرس للعودة إلى المسرح هز رأسه محيياً، وقاد اليانور إلى مقعديهما، وهو يقول، في اللحظة التي كانت ميرندا فيها تهم بالذهاب مع جايمس: «إذن إلى اللقاء».

وعاد الجميع إلى المسرح، وتساءلت ميرندا ما إذا كانت عينا لوك تلاحقانها. قد لا تكون أذكى شخص في العالم، وقد لا تمتلك مواصفات مرافقته الجذابة، لكنها تملك قواماً جميلاً.

لم يكن هناك أثر للوك ساعة الخروج من المسرح بعد خمس وأربعين دقيقة، وحين استدعوا سيارة الاجرة التي أقلتهم الى نادي «الجاز»، كان حماس ميرندا قد بدأ يضعف.

وبكل صدق، أبلغت جايمس، أنه بالرغم من جماله، لم تنجذب

إليه. وأبعدته عن المجموعة لتشرح له: «وأنا آسفة فعلاً لأنني أعطيتك الانطباع الخاطىء».

قال متنهداً باستسلام: «أنت لست من مستواي على أي حال. مع ذلك، فقد كان الأمر جيداً».

ونظر إليها بخبث: «في الواقع، أنت من مستوى لوك دوكروا.. فأنت مساوية لحياة البذخ، بينما أنا لا».

- من مستواه؟ هاه.. حياة البذخ؟ لهذه الليلة فقط.. أؤكد لك.

راحت في السيارة تفكر بلوك، وبالمرأة التي جاء بها معه إلى المسرح، وبمظهرها الرائع. فهو حتماً سينساها، ما إن يسأم منها.

هل هذا ما سيحصل لها؟.. وماذا لو قررت أن تعمل فقط، وتضع ماضيها الصاخب خلفها، وأن تركز على تنمية الموهبة التي لطالما تجاهلتها؟ فهل ستصبح مثل إليانور، لعبة يبتهج بها أولاً ثم ينساها ويسأم منها؟

الجرأة جعلتها تقبل اقتراح لوك بأن يلتقي الجميع في النادي، لكنها الآن وقد رأت مجموعة لوك، ودت لو تعود الى المنزل.

كان الجميع جالساً، وفتشت ميرندا عن اليانور، ولمحتها بين رجلين، تتحدث وتشير بيديها، تعبر عن رأيها في شيء، ربما، عن حال العالم، أو مسألة كبيرة.

وسارت ميرندا خلف جايمس، تلحق بأصدقائها وهم يشقون طريقهم بين الطاولات. كانت فرقة الجاز تعزف معزوفة بطيئة حزينة، ما أثر كثيراً في نفس ميرندا.

عندما وصلوا الى المائدة ساد هرج من التعارف، قصد بعده عدة أفراد من المجموعتين حلبة الرقص.

أما ميرندا، فوجدت نفسها جالسة إلى جوار اليانور ولوك خلفهما.. ومن نتف الكلام المرتفع الذي سمعته، عرفت أنه يسأل جايمس عن

عمله، ويسأل أين يعيش، ويطلق ملاحظات حول عالم الكومبيوتر بحيث اضطر جايمس المسكين أن يتبنى موقف الدفاع عن النفس، كي لا يلوذ بالصمت.

بينما كانت الأصوات ترتفع، حاولت ميرندا المحافظة على مظهر المرح المخادع الذي كان يفقد لمعانه مع كل دقيقة تمر، واستطاعت أن تعرف أن اليانور تعمل كمحامية في شؤون الضرائب، لكن صوت الموسيقى كتم كل التفاصيل.. أخيراً، وقفت ميرندا واقتربت من جايمس، متجاهلة لوك الذي بان أطول من ضحيته التي جردها من الدفاعات، بثلاثة إنشات، والذي كان ينضح بطاقة لا تلين وبطريقة اعتقدت ميرندا أنها متعمدة.

صاحت، وبالكاد يُسمع صوتها: «ألن ترقص يا جايمس؟».

ـ حسن جداً.. لكنني لست بارعاً كثيراً.. أحذرك! انتبهي لقدميك! قد تجدين من الصعب التعرف إليهما بعد بضع رقصات معي!

سألت ميرندا بصوت مهذب بارد: «أولن تدعو رفيقتك إلى الرقص يا لوك؟ لا يمكنك تركها جالسة لوحدها وأنت جالس خلفها.. قد تخاف المسكينة منك».

انحنى نحوها لتسمعه: «أوه.. أنوي أن أرقص.. حين أكون مستعداً».

وافقت ميرندا جايمس إلى ساحة الرقص وانسجمت مع الموسيقى.. بينما بدا جايمس غير مرتاح وهو يحاول مجاراتها. وتعمدت أن تدير ظهرها نحو الطاولة، كي لا تسمح لنفسها أن ترى ماذا يحدث بين لوك واليانور.. وبهذا يمكن أن تتظاهر أنهما ليسا هناك، وأن الأمسية التي بدأتها بآمال كبيرة، وبرغبة في استعادة أيام الطيش الماضية قد تحولت الى لحظات توتر لا تنتهي.

كانت تشجع جايمس المتردد على الرقص، حين ظهر لوك أمامهما

فجأة. قاطعهما دون اعتذار، تاركاً جايمس يعود إلى الطاولة ويبدأ حديثاً مع اليانور.

همس لوك في أذنها: «قلت لك إنني سأرقص حين أكون مستعداً».

سألته ميرندا: «وماذا عن صديقتك؟ ألا تظن أن من الفظاظة أن تتجاهلها لترقص مع موظفة عندك؟».

كان رقصه جيداً وحركاته الرشيقة متناغمة مع حركاتها ومع أنغام الموسيقى، وحاولت ميرندا أن تتراجع عنه، وهي تعي عيون صديقاتها التي تلمع حسداً...

همس في أذنها: «أوه.. أنا بالتأكيد في قمة الفظاظة لأتجاهل صديقتي. لكنني أشك في أن تمانع اليانور».

ـ أوه.. هكذا إذن.. هل هذا هو نوع العلاقة الذي يجمع بينكما؟ الشراكة المتحررة المنفتحة، التي تعني أنك قادر على فعل ما تشاء وتنكر عليها حقها بالاعتراض؟

ـ أوه.. أنت إذن إلى جانب اليانور؟ هذا يدهشني.. أعتقد أنك تغارين.

قالت ميرندا متلهفة: «أنت لا تعرفني أبداً! ولماذا أغار من امرأة لمجرد أن لها وظيفة هامة، وترتدي ثياباً تبدو جيدة على رجل؟».

قال لوك بلطف: «لا تبدو اليانور كرجل».

لعقت شفتها، نادمة على غيرتها، وأكمل: «في الواقع، الكثير من الناس يعتقدون أنها امرأة جميلة ومميزة... لم تسمح لوظيفتها أن تزيل شيئاً من أنوثتها».

ردت ميرندا بحدة: «إذا كنت مغرماً إلى هذا الحدّ.. فهل تسمح أن تقول لي ماذا تفعل معي؟».

ـ لأتبادل معك نقاشاً منشطاً.. كما أظن.

ـ حسن جداً.. لقد أخطأت في العنوان. أنا لا أميل إلى النشاط

الليلة! جرب مع صديقتك!

ـ أكره أن أقول هذا ميرندا. . لكنني سأضع حداً لبؤسك. . إنها ليست صديقتي. . والواقع أنها تعيش في شيكاغو وهي هنا في عمل، ففكرت أن أسليها. . وهو شيء لا أمانع فيه أبداً لأنني صديق حميم لزوجها وأحب أولادها. . هاك، أيتها المحتالة النارية الصغيرة. هل تشعرين أنك أفضل حالاً الآن؟

وتراجع إلى الوراء ليتفحص وجهها.

فقالت: «لا يهمني هذا على أي حال».

ـ أوه. . بلى. . يهمك. . الغيرة تتآكلك! مثلما تتآكلني من مدمن الكومبيوتر هذا الذي جئت به معك الليلة. . ولا تظني أنني سأدعك تفلتين. ستبقين معي على حلبة الرقص هذه، إلى أن تقولي لي ماذا يجري بينكما.

حاولت ميرندا جهدها أن تتصلب في وجه التملك الرجولي في صوته. . تملك ليس من حقه، مهما يكن الأمر. لكنها أحست بلحظات طرب خيالية.

سألها لوك: «من هو؟».

ـ أنت تعرف من هو. اسمه جايمس. . إنه محلل كومبيوتر، وهو مثير جداً للاهتمام في عمله.

ـ هذا إذا حدث وكنت راغبة في الانغماس بحديث لا ينتهي عن غوامض الكومبيوتر.

ـ إنه مثقف جداً، في الواقع. . أتعرف أنه استناداً الى بعض النظريات سوف تنقرض المكتبات في النهاية لأنه سيكون من السهل جداً الوصول إلى الكتب عبر الكومبيوتر؟

وأكملت ساخرة: «لذا. . من الأفضل أن تحتفظ بتلك القصص البوليسية البالية في الكوخ. . فقد تساوي شيئاً في يوم ما».

تبدلت ملامح وجهه. . وقال: «لا يمكن أن تهتمي بفتى مثله».

ـ ولماذا لا؟ إنه يعجبني. . وكثيراً.

همس في أذنها: «أعرف أنك كاذبة».

ـ أوه. . حقاً؟

كرر احتجاجها البارد غير المصدق: «أوه. . حقاً. . هل تظنين أنك بحاجة إلى شيء يمد تفكيرك عني؟ هل هذا هو السبب؟ لماذا لا نذهب إلى مكان أكثر هدوءاً لنتمكن من مناقشة الغلطة الكبيرة التي ترتكبينها إذا كان الحال هكذا؟».

ـ لا يمكنك ترك مرافقتك لوحدها!

ونظرت ميرندا حولها بارتياع لترى «رفيقته» مستغرقة تماماً في حديث مع أحد رجال المجموعة.

ـ لا أعتقد أن اليانور ستفتقدني.

وتمكن بحنكة أن يقودها إلى غرفة جانبية، أثاثها مريح وفيها مقاعد دافئة، وطاولات مليئة بالصحف.

ـ يبدو أنك تعرف هذا المكان.

ـ صه. .

وبدلاً من التحرك نحو المقاعد، مال ناحيتها، وأكمل همساً: «اشتقت إليك».

قالت بضعف: «لقد أردت أن نتكلم».

ـ أجل. . أريد أن أتكلم عن سبب محاربتنا للتجاذب الذي نشعر به نحو بعضنا. . نتكلم عن كم تريديني وكم أريدك.

ها هي تلك الكلمة مجدداً.

ـ أنا لا أريدك.

كانت تكذب فقد أحست بالشوق له.

ـ أوه. . بلى. . تريدينني.

www.elromancia.com

كاد سحره يدمر كل دفاعاتها. . . ولكنها رفضت الخضوع لتأثيره فيها.

قالت وهي تهتز: «لا!».

ولفت ذراعيها حول جسمها بحركة لا إرادية للدفاع.

النظرة اللماعة في عينيه، بدأت تختفي عندما فهم ما قالته بسرعة.

وتحركت ميرندا إلى أحد المقاعد وجلست، لا تعرف ما إذا كان سيلحق بها، آملة ألا يفعل.

لحق بها: «لا؟».

لكن، بدلاً من الجلوس، بقي واقفاً، يطل عليها كأنه النسر المنتقم.

ـ لا؟

صدها العنيف فاجأه، وهز رأسه، ولم تعرف ما إذا كان هذا دليل عدم تصديق، أو ارتباك، أو مجرد غضب، لأن خططه لإغوائها تلاشت أمام نبرتها الحادة.

وصححت بصمت لنفسها. . الأمر ليس كذلك. فالإغواء يتطلب رمي الشباك ولفت الانتباه، ولوك يعرف أن لا حاجة به أن يفعل أياً من هذه الأشياء.

سأل: «ولماذا لا؟ أليس الوقت متأخراً لإظهار الغضب؟».

قالت ميرندا مرتجفة: «لا يهمني كيف يبدو الأمر».

وارتفع رأسها إلى الوراء لتنظر إليه.

قال غاضباً: «هذه سخافة».

وضرب يديه على المقعد.

ـ هذه تمثيلية غريبة. ما خطبك؟

ردت بصوت غير مسموع تقريباً، بحيث اضطر إلى الانحناء أكثر ليسمع ما تقول: «أنا. . كانت لدي الفرصة لأفكر. . لوك. لقد. . تغيرت، ولم أعد كما كنت».

ـ إذن قررت العزوبية. . أليس كذلك؟

والتوى فمه بسخرية.

ـ أريد علاقة دائمة. . أريد. . لا أعرف ماذا أريد. .

ـ أنا أعرض عليك علاقة.

ـ أنت تعرض علي قضاء وقت ممتع.

ـ وهل من فرق؟

نظرت ميرندا إليه، فاقدة الأمل.

وسأل: «هل هذا نوع من الانتقام المتأخر؟ طريقة للرد علي لخيانتي المزعومة لك؟ لا. . ليست هكذا. . أليس كذلك؟ إذن. . ماذا؟ هل تأملين أن أطلب منك الزواج؟ هل الأمر هكذا؟».

بدأت نبضات قلبها تتسارع. وأكمل: «وماذا لو فعلت؟ ماذا لو طلبت منك الزواج؟».

التمعت عيناها الزرقاوان بغضب وهي تفهم السخرية في صوته: «لن أقبل هذا!».

ـ لا. . لن تقبلي ماذا؟ لن تتزوجيني؟

ـ لن أحلم بالزواج منك لوك دوكروا! حتى لو كنت لا أزال منجذبة إليك، هذا لا يعني أنني سأهرع إلى ذراعيك مستسلمة. لقد بدأت أدرك أن الحياة هي أكثر من مجرد لهو، إنها تعني المسؤولية والنتائج و. . و. .

ـ وإنكار الذات؟ لماذا لا تضيفين هذا إلى اللائحة؟ لكن الآن. . وقد أصبحت راشدة، فهمت أن لا جدوى من اللهو. . أليس كذلك؟

قالت ميرندا متحدية: «أجل!».

تركته يصدق الأسوأ عنها، أي شيء عدا الحقيقة. لأنه لو ارتاب بكم وقعت عميقاً في حبه، فسيعرف أن إصراره سيكفل له النتيجة التي يريدها. . وستضيع. ستضيع أكثر مما هي ضائعة الآن.

ابتعد عن المقعد وأدار ظهره إليها: «عظيم!».

قالت ميرندا متهورة: «أنا آسفة».

وأدركت أنها فعلاً آسفة، آسفة لأنها لم تستطع أن تعطيه ما يريد، ولأنها هي نفسها تريد ما يريدأيضاً.

استدار ببطء شديد ليواجهها. ثم ضحك باستهزاء: «على ماذا؟ صدقي أو لا، أنا فعلاً أعتقد أن من امتيازات المرأة أن تقول لا وأن تنال الاحترام على هذا».

ولم يكن هذا ما أرادت ميرندا أن تسمعه.

قالت بارتباك: «سأفهم إذا كنت لا تريدني أن أكمل المشروع. إذا كنت تظن أن الأمور قد لا تكون مريحة بيننا».

قطب: «ما الذي جعلك تظنين هذا بحق الله؟».

ثم ابتسم: «بيننا عقد يا ميرندا. عقد ملزم، ولا أنوي أبداً أن أسمح لك أن تتحرري منه كي تتهربي من انزعاجك من رؤيتي. العمل عمل.. على أي حال».

ـ لكنني ظننت..

التوى فمه في ابتسامة مزيفة، أرسلت رجفة سريعة في جسمها.

ـ أنك أخفتني مدى الحياة! أعتقد أنني سأعيش، وسأناضل، أو ربما كلمة أناضل ليست ما أبحث عنه..

وعرفت أي كلمة يبحث عنها، وماذا يحاول أن يقول لها.. إنه يقول إن الابتعاد عنها لن يكون مشكلة. لقد جرّب وخسر.. لكن خسارته هي سبب توتر مؤقت.. وهذا ما يؤكد على كل شيء شكت به، وقسا تعبير وجهها ليصبح تفهماً مريراً: «إذن.. سأراك كالعادة يوم الاثنين..».

التفّت أصابعه حول مقبض الباب: «أوه.. أجل.. يوم الاثنين، كالعادة.. وأريد منك موعداً نهائياً.. فأنت سترغبين في الانتقال إلى عمل آخر، أنا متأكد، وأنا أريد أن أرى الأشياء منتهية بأسرع وقت ممكن.. ألا توافقين معي؟».

قالت ميرندا، بتعبير متباعد يماثل تعبيره: «بكل تأكيد». سيكون هذا أمراً صعباً.. لكنه سيتحقق.

ولم تكن تشك أبداً، كم سيكون الأمر صعباً.

***

www.elromancia.com

٩ - زير نساء

أدركت ميرندا صعوبة الموقف، حين وصلت صباح الاثنين إلى المنزل ورأت سيارة لوك في الخارج. . . كانت تتوقع ساعة أو ساعتين على الأقل من الهدوء النسبي قبل أن يظهر، فهو في العادة يمر وهي موجودة. ولم تصل يوماً لتجده هناك.

خرجت ميرندا ببطء من سيارتها، واتجهت نحو الباب الأمامي، حاملة نماذج القماش وورق الجدران بين ذراعيها. لقد قال إنه يريد السرعة، وبالتالي عليها أن تختار من المفروشات قدر المستطاع خلال الأسبوع. وبهذه الطريقة تستطيع البدء في تشكيل الطلبات للستائر والمفارش، ومع قليل من الحظ، قد تتمكن من تدبير الأمور مع منفذ الديكور للبدء في الدهان وورق الجدران في الغرف.

سمعت أصواتاً قبل دخولها إلى المنزل. . إنه صوت لوك المميز العميق وصوت توم. . أخذت نفساً عميقاً، وفتحت الباب، وارتبكت لرؤية لوك ببنطلون جينز قديم وسترة سوداء سميكة، مرفوعة الكمين حتى الساعدين. كان يتعامل مع العمال بعدل. . لكن، الويل لمن يظن أنه قادر على إهمال عمله حين يكون موجوداً.

استدار كلاهما في الوقت ذاته وهي تدخل وقال لوك بصوت صارم:

- ظننتك ستكونين هنا باكراً قليلاً.

- اضطررت للتوقف وإحضار بعض نماذج الأقمشة.
- لو كنا عرفنا أنك ستتأخرين هكذا. . ما كنا. . وصلنا باكراً هكذا. .
- نحن؟
- أوه. . طبعاً. .

وتظاهر بالنسيان، ثم نادى برنة حميمة: «هيلين! مصممة الديكور الداخلي هنا!».

خرجت هيلين بسرعة من المطبخ، وانفتح فم ميرندا في دهشة صاعقة. . ولكن كان لديها من اللباقة ما يكفي لتبتسم حين برزت شقراء مثيرة من المطبخ وعلى وجهها ابتسامة عريضة. .

ولاحظت ميرندا بذهول أن المرأة كائناً من تكون، لم تكن ترتدي ثياب عمل للتجوال في المنزل، الذي ما زال مليئاً بالردم وقطع الخشب. . فبذلتها الخضراء كانت جميلة جداً، وحذاؤها عالي الكعبين.

وقف لوك بجانب المرأة: «هيلين. .».

وواجها ميرندا كجبهة متحدة.

- . . هذه هي مصممة الديكور.

قالت ميرندا: «والتي اسمها ميرندا».

ومدت يدها لتسمح لتوم أن يريحها من النماذج الثقيلة.

قالت هيلين: «هذا رائع. . أليس كذلك؟».

كانت العينان الخضراوان متسائلتين. في البدء ظنت ميرندا أن المرأة في بداية العشرينات، لكن بعد أن تفحصتها عن كثب، رأت بعض التجاعيد حول فمها وعينيها، ما يشير إلى شخص أكبر سناً، ربما في أواسط الثلاثين.

- أعني، حين قال لي هذا المغفل الكبير إنه يجدد منزلاً، لم يكن لدي فكرة أن المنزل الذي يعنيه هو نوع من القصور الريفية.

قالت ميرندا، لمجرد القول: «أوه. . حقاً».

www.elromancia.com

قال لوك: «لقد سحرت هيلين بما تم إنجازه».

وحول نظراته المتكاسلة نحو هيلين، وكتفت ميرندا ذراعيها، وأجبرت نفسها على الابتسام، والتظاهر بالاهتمام، بدلاً من الكشف عن رغبتها الشريرة المفاجئة بارتكاب جريمة.

- ربما تستطيع أن تسير خلفك وأنت تعملين؟ وربما تساعدك في اختيار الألوان أو أي شيء؟ من الأفضل دائماً أن يكون هناك رأي ثانٍ في الأشياء مثل الأثاث، ألا توافقين معي؟

قالت ميرندا بحدة: «أنا أعمل بشكل أفضل لوحدي».

- لكنني أعتقد أن المساهمة ستكون مفيدة، وسيكون لك رأي آخر يساعدك. وأنا رب عملك.

كانت عيناه مصرّتين، وهزت ميرندا رأسها باقتضاب معترفة بالورقة الرابحة التي يلعبها.. لقد تلقى غروره ضربة وسوف يمرغ أنفها لأجل هذا.

ردت: «بالتأكيد».

ضاقت عينا هيلين الماكرتان برضى، وردت ميرندا بابتسامة.. ابتسامة مرعبة.. المرأة النحيلة التي تجعل ملكة النحول تشعر بالحسد، كانت تجعلها تشعر وكأنها امرأة ضخمة الجثة. أما ارتداؤها بنطلون جينز قديم واسع، وسترة عمل أكثر اتساعاً، فلم يساعدها في شيء.

وأكملت: «لو تلحقين بي هيلين.. فسنبدأ بالمطبخ.. هل هذا ممكن؟».

قال لوك: «وأعتقد أنني سأجيء معكما».

قال لوك: «والآن.. لماذا لا نجلس جميعاً لنلقي نظرة على ما أتيت به؟».

بعد أربعين دقيقة، تعرضت فيها ميرندا للحساب على كل ما اختارته من بلاط الأرض إلى ورق الجدران، أحست وكأنها ستجن.. واضطرت

إلى تحمل هيلين، ونظرات لوك إليها واهتمامه المبالغ بكل نصيحة تتلفظ بها هذه.

حين سألت هيلين عن الحمام، توقعت ميرندا أن يهب لوك واقفاً ليرافقها، لكنه لم يفعل. بل أرسلها إلى الطابق الأعلى، وهو يراقب حركاتها وهي تخرج، ثم هز رأسه مع تنهيدة صغيرة حين ابتعدت عنه.

وسأل ميرندا: «ألا تعتقدين أن فيها شيئاً يشبه الخوخ؟».

وبقيت عيناه عالقتين بالفراغ الذي تركته بباب المطبخ.

- لم ألاحظ هذا.

- لا؟

وبدا أنه يجد صعوبة في انتزاع عينيه من نقطة الفراغ التي ستعود في وقت قصير لتمتلىء بطيفها المترنح.

قال: «أنا مندهش.. لم تتمكن هيلين يوماً من دخول غرفة، دون أن تجذب أنظار الجميع، رجال ونساء على حد سواء. إنها تعمل في مسح الأراضي. كنت أخرج معها منذ سنوات، وأراد الحظ أن يسعدني بمقابلتها يوم أمس».

أغلقت ميرندا كتيب النماذج بقوة. وفكرت بحدة لاذعة: أين تمكن أن يلتقي بها؟ في دفتره الأسود الصغير ربما؟ فليلعب لعبته الصبيانية.

- قد تكون مسّاحة أراضي موهوبة ومؤهلة.. لكنك لا تنوي حقاً أن تدهن المطبخ بلون برتقالي برّاق..

- ظننته اقتراحاً ساحراً.

- ساحر، لكنه بشع، فمطبخ بلون برتقالي برّاق سيبدو كريهاً.

- برأيك.

- بل برأي أي شخص لديه ذرة من الذوق السليم.

- ربما.. مرري لنا كتيب نماذج الألوان، هل تسمحين؟

www.elromancia.com

وتابع بعد تفحصه بشكل مبالغ فيه: «ربما يكون اللون براقاً بعض الشيء.. دعي هذا معي لبضعة أيام.. سأفكر بالأمر!».

قالت بلوم: «لكنني ظننتك تريد إنهاء العمل كله في أسرع وقت ممكن.. والتفكير بالأمور لبضعة أيام لن ينهي العمل بسرعة».

ـ في التأني السلامة.. والآن، هل نلقي نظرة على غرفة النوم؟

ورفع حاجبه بطريقة معبرة، فمنحته ميرندا إحدى الابتسامات المتصلبة.. عندئذٍ سمعت وقع أقدام هيلين، ولم يكن من داعٍ لتنظر حولها لتراقب اللمعان الراضي على خديها. فهي بسهولة تستطيع تصوُّره، حكماً على نظرة لوك المعلقة بالمرأة الواقفة خلفها، بعيداً عن نظرها.

قالت هيلين: «هل سمعت شيئاً عن غرفة النوم؟».

صرت ميرندا أسنانها ووقفت: «أووه.. هذا عظيم يا لوك!».

وفتحت هيلين ذراعيها ما إن دخلت غرفة النوم، التي خرج منها العاملان فيها بسرعة، بعد أن ألقيا نظرات الإعجاب على الشقراء الجميلة.

كانت الأرضية الخشبية تكاد تنتهي، واعترفت ميرندا لنفسها أنها فعلاً غرفة نوم عظيمة.. كبيرة، ولها نافذتان بارزتان ضخمتان، تطلان على مساحات شاسعة من الحدائق.

اتجهت هيلين إلى إحدى النافذتين وسألت وهي تجلس على حافتها:

ـ أين سيكون موقع السرير؟

واتجهت عيناها عن عمد إلى لوك، الذي بدا شامخاً كالسيد المطلق.

قالت ميرندا: «فكرت أن اللونين الأخضر والعاجي سيتناسبان هنا».

قاطعها لوك: «مهلك لحظة.. أنا لم أرد على سؤال هيلين.. همم.. والآن.. أين يجب أن أضع سريري..؟».

قالت هيلين: «تأكد فقط ألا يكون ظهره إلى النافذة.. فالتعاليم الصينية تقول إن هذا سيء جداً».

قالت ميرندا بوقاحة: «لم يكن لدي فكرة أن مسّاح الأراضي القانوني

لديه معلومات تتعلق بتصميم البيوت الشرقية.. فهل هذا من ضمن التعليم الحديث هذه الأيام؟».

فتحت الكتيب على الصفحة التي تريدها وأشارت إلى مزيج الألوان الذي تفكر به.

قالت هيلين: «همم.. ألوان مملة قليلاً.. حبيبي.. ألا تعتقد هذا؟ نريد شيئاً حياً، خطيراً مثيراً للاهتمام».

وأدارت الكتيب بحيث أصبح يواجهها، وأخذت تقلب صفحاته إلى أن أضاء وجهها على مزيج ألوان حمراء وسوداء.

ـ والآن لوكي.. أليس هذا مناسباً أكثر؟ يمكن إقناع فتاة أن تفعل كل الأشياء مع هذه الألوان.. إنها ملتهبة. إنها.. ألا توافق معي؟

لم تستطع ميرندا منع ضحكة صغيرة: «لوكي..؟».

ونظر لوك إليها نظرة رادعة.

قالت هيلين: «هذا اسم الدلع الذي أطلقه عليه».

قالت ميرندا: «اسم ساحر. ولو أنني شخصياً أظن أن أسماء الدلع هي للحيوانات الأليفة».

ثم قالت بسخرية:

ـ وما رأي لوكي بالخيار الأحمر؟

وابتسمت بإشراق في وجه عبوسه.

ـ أنا أوافق بالتأكيد مع هيلين فهذا اللون يضفي لمسة خاصة على غرفة النوم.

تمتمت: «سآخذ هذا بعين الاعتبار».

عبست ميرندا بحيرة: «أمر آخر ستأخذه بعين الاعتبار؟ لو قلت لي أي لون أحمر تريد بدقة، يمكن أن أطلب ورق الجدران اليوم. أعتقد هيلين أنك أحببت هذا..».

وأشارت إلى نموذج ورق جدران مؤلف من لون أحمر موشى بالأسود

www.elromancia.com

والذهبي.

صفق لوك الكتاب يغلقه: «قلت إنني سأفكر بالأمر».

ونظر إليها: «قد تضطرين للمتابعة من دوننا.. اختاري الألوان لغرف النوم الأخرى».

فتحت ميرندا عينيها الزرقاوين: «لوحدي؟ لكنني ظننتك تريد رأياً آخر؟ وأعتقد أنها فكرة رائعة أن تشاركني هيلين في التفكير».

ـ يجب أن أعود إلى لندن، لدي اجتماع بعد الظهر.

ـ حسن جداً إذن، لماذا لا تبقى هيلين وتساعدني؟ أنا أموت شوقاً لسماع الأفكار المبدعة الأخرى التي تفكر بها.

وسمحت ميرندا لنفسها أن تستمتع برؤيته يتمرغ بنتائج مؤامرته السيئة لإذلالها، لكن استمتاعها كان قصيراً.

ـ لا تستطيع.. إنها قادمة إلى لندن معي..

وأرسلت لها عيناه الزرقاوان رسالة واضحة أضحكت هيلين.

سألته بخجل: «وماذا عن اجتماعك؟».

ـ بعض الأشياء يمكن أن تنتظر.

ثم نظر الى ميرندا التي كانت مرتبكة: «إذاً، تابعي العمل من دوننا، ودعيني أعرف قرارك وقت الغداء في الغد، أتظنين أنك قادرة على تدبير الأمور؟».

ـ تماماً.

ـ جيد.. إذن سنتركك تعملين.

توقف قرب الباب، وقال بصوت مفكر: «في الواقع.. لدي فكرة.. لماذا الانتظار حتى الغد بينما أريد إنهاء العمل في أسرع وقت ممكن..؟ هيلين وأنا سنتناول العشاء في النادي هذا المساء.. لماذا لا تنضمين إلينا قبل العشاء.. وتأتين معك بالنماذج.. بهذه الطريقة، يمكن أن آخذ قراراً ويمكنك البدء بتنفيذ كل شيء في الصباح الباكر..».

ـ أنا مشغولة هذا المساء.

ـ في هذه الحالة، أنت مضطرة لإلغاء موعدك.. أليس كذلك؟

أعطاها العنوان، وكأن حياتها الاجتماعية شيء تافه بالنسبة إليه:

ـ كوني هناك عند السابعة.. ممكن؟ بهذه الطريقة نستطيع التفكير بكل شيء وننتهي في الثامنة والنصف، فتتمكنين من الذهاب إلى أي مكان خططت له.

بدلاً من الخروج ومجاراة لهفة هيلين للرحيل تابع النظر إلى ميرندا، منتظراً أن تتكلم. وخطر ببال ميرندا أنه ربما ينتظر أكثر من موافقتها على تحكمه بأوقات فراغها.. هل ينتظر منها أن تقول له ما هي خططها؟ حتى ولو لم يكن له حق، هل لا يزال يشعر بالغيرة لأنها تقابل شخصاً آخر؟ وجعلتها الفكرة تثور سخطاً.

تحركت شرارة خبيثة صغيرة في داخلها.. وأخفضت عينيها، لتقول: «لا بأس في هذا.. وأنا واثقة أن جايمس لن يمانع لو تأخرت قليلاً عليه».

وخاطرت برفع نظرها إليه، ولجزء بسيط من الثانية، تشابكت عيونهما، لكن تعبيره بقي غامضاً.

وتمتم: «أراك لاحقاً».

وتسلل الاحمرار الخانق إلى عنقها ليطغى على وجهها.. وابتسم، فأحست بالسخط يتملكها وودت لو ترمي نماذج ورق الجدران على رأسه الأسود الوسيم.

لكنها لم تفعل.. وأمضت بقية اليوم مضطربة. لو كان يريد أن يبرهن لها أنها لا تعني له الكثير، فقد نجح.. فحتى لو أن هيلين لم تكن حب حياته، فهي بالتأكيد تجسيد لسرعة زوال مشاعره. وكان هذا جلياً من تصرفاته واهتمامه بهلين.

كان التفكير بهذا مؤلماً ومذلاً، واضطرت إلى إبعاده عنها.. لكن،

www.elromancia.com

خلال النهار، كانت الفكرة لا تزال تجول في ذهنها، وكأنها «عفريت» شرير يتلذذ بتعذيبها.

توقعت ميرندا ما يمكن أن ترتديه هيلين، من ثياب تبرز جمالها، لذا اختارت العكس تماماً أي بذلة رمادية من الكشمير الأزرق، بعيداً عن الملابس الفاخرة.

وخلافاً للباسها الكئيب غير المعتاد، سرّحت شعرها إلى الوراء في ضفيرة على الطريقة الفرنسية، ووضعت على الجانبين مشبكين.

حين تفحصت صورتها في المرآة، رأت أن هذا زي يناسبها. وأحست بالكفاءة وأنها امرأة منيعة من جاذبية الجنس الآخر، ومن رجل واحد بشكل خاص. ولهذا السبب لن تخضع لمشاعر الغيرة الغاضبة.

ستتمكن من أن تتجاهل هيلين.. ولو تلاعب لوك بأعصابها، يمكنها أن تضربه بالحقيبة السوداء الجلدية التي تنوي استخدامها.

أخيراً وصلت إلى النادي، لتجد أن هيلين لم تصل بعد.

قال لوك متشدقاً: «لا داعي أن يشارك أحد بهذه المرحلة من العمل».

واستدعى النادل وطلب العصير.

ردت ميرندا: «حقاً..؟ لكن، ماذا عن أهمية رأي أنثوي آخر؟».

وجلست إلى الخلف في مقعدها وشبكت ساقيها.. وفي تلك البذلة البسيطة، استطاعت أن تحافظ على وهم علاقتهما ما بين رئيس ومرؤوس.

تمتم من بين أنفاسه: «ربما قد غاليت في تقديري هذا».

مالت ميرندا إلى الأمام والتقطت الملفات وفتحت النماذج على الطاولة أمامهما.

ـ حسن جداً.. هل نبدأ في اختيار الألوان؟

ـ سألقي نظرة عليها حين أكون مستعداً.

ووصل النادل مرة أخرى، وصب لكليهما كوب عصير.

وأكمل لوك: «وأنا لست على استعداد بعد».

ـ حسن جداً، ألا يجب أن ننهي هذا قبل وصول هيلين؟ قد تجد أنها ليست سعيدة بالخيار، ولا يروقها أن نتجاهلها.

ـ لن تصل.

ـ أوه.

اللفظة الوحيدة تكلمت الكثير، والتقى حاجبا لوك في عبوس.

ـ هذا صحيح..

ـ وماذا حدث؟

أحست بالرضى، وبنغم حلو في أذنيها، ولكنها أجبرت نفسها على تذكر أن اختفاء امرأة واحدة من حياته، لا يعني شيئاً.. ولن يحوّله هذا فجأة إلى رجل مستعد للارتباط، أو أقله الالتزام نحوها، ولسوف ينتقل إلى هيلين أخرى.

ـ لقد رأيت أن من يفكر جدياً بتزيين غرفة النوم باللون الأحمر القاتم، لن تكون الفتاة التي يمكن أن أهتم بها.

ـ لكنكما كنتما متناسبين تماماً...

وارتشفت عصيرها، ثم نظرت حولها بتكاسل.

ـ.. وبدت مبتهجة معك إلى أقصى الحدود.. يا له من إذلال لتلك المرأة المسكينة!

قال معترفاً: «لقد خاب أملها قليلاً.. لكنني تمكنت من رسم صورة سوداء عن نفسي، بحيث أنها كانت تفكر عند رحيلها بأن هذا أفضل».

ـ وماذا قلت لها؟

ـ قلت إنني زير نساء، مولع بملاحقتهن.

أنهى كوبه، ونظر إليها بتعبير غامض. ثم صب لنفسه كوب عصير آخر، ومال إلى الأمام ليملأ كوبها، لكنها هزت رأسها رافضة.

قال: «على أي حال، ها نحن.. كما يقال عن البحر والسمك..».

ومدد ساقيه الطويلتين أمامه وأخذ يراقبها.. ولم تكن ميرندا مستعدة

www.elromancia.com

للاجابة على التحدي في صوته، فقاطعته بأدب: «ليس لدي الليل بطوله.. لذا إذا كنت لا تمانع..؟».

قسا فكه قليلاً: «بالتأكيد.. في الواقع..».

ونظر إلى ساعته: «.. ولا أنا لدي الوقت.. هل نبدأ العمل؟».

أمضيا نصف الساعة التالية يفتشان في النماذج المختلفة التي أحضرتها. لكن تفكيره كان في مكان آخر، واستطاعت أن تشعر بهذا، فقد وافق على كل ما عرضته عليه، فخطر لها أن موافقته كانت نتيجة لهفته لإنهاء المنزل، وابتعادها عن طريقه، أكثر من اهتمامه بذوقها الرفيع.

قالت بتردد بسيط: «إذن.. سأمضي قدماً وأطلب كل هذا. موافق؟».

وهز كتفيه دون أن يزعج نفسه بالنظر نحوها.

أخذ ينظر الى الباب.. ودون وعي منها لحقت ميرندا بنظرته، وأحست بالانقباض حين ظهرت امرأة طويلة سوداء الشعر، تنظر حولها إلى أن تراه وتلوّح له.

قال بصوت منخفض: «إنها كانديس. اعتقدت أنك ستنتهين باكراً قليلاً.. لكن..».

ـ كانديس؟

هز كتفيه، وابتسم لها بسحر: «أترغبين في البقاء والتعرف إليها؟ أظنكما ستتفقان فهي تعمل كذلك في مجال المنازل..».

ـ وهل هي مصممة ديكور داخلي؟

ـ لا.. لا.. بل وكيلة عقارية.. وهذا مفيد لك، في الواقع.

نهض من مكانه، وفعلت ميرندا مثله بسرعة وهي مذهولة. وقبل أن تتمكن من تحليل ما يجري، وجدت نفسها تصافح المرأة وتتمتم شيئاً مهذباً، بينما كانت كانديس تبدي الاهتمام بعملها، وتعلمها بسرعة أنهم دائماً يبحثون عن مصممة ديكور داخلي جديدة.

ـ ولا بد أنك جيدة، إذا كان لوك يثق بك لإصلاح منزله.

ابتسم لوك بطريقة متواضعة: «لم تعمل ميرندا منذ فترة.. وأنا فقط، أساعدها».

ضاقت عينا المرأة السوداوان عليها: «وماذا كنت تعملين قبل هذا؟ أنت صغيرة جداً ليكون لك عائلة وأولاد».

ـ ميرندا كانت..

قاطعته ميرندا: «مسافرة.. على أي حال يجب أن أسرع بالذهاب».

وبدأ القدر يحتج بأن السهرة ما زالت في بدايتها، ويدعوها لتتبادل الحديث مع كانديس.. وكان بإمكان ميرندا أن تقتله لهذا. لكن، بدلاً من ذلك، رمته بابتسامة قاتلة وجمعت ملفاتها.

ـ لا.. فكما قلت، لدي موعد آخر الليلة.

ومدت يدها بأدب إلى المرأة الأخرى: «طاب مساؤك».

اتجهت ميرندا الى الباب من دون أن تنظر الى الخلف ولو مرة. وتمنت لو أن جايمس كان موجوداً.

لفح هواء الليل وجهها وجعلها تسرع في استدعاء سيارة أجرة تعيدها إلى منزلها. لو كان موجوداً لكان محظوظاً.. فلن تظل عندها متمسكة جداً بأن تكون فتاة طيبة، وستقول له إنها غير مهتمة به.. وكانت ستكون بهذا قد لاعبت ذلك النذل لعبته الخاصة.

وفكرت: لماذا تخدع نفسها؟ لوك، جزء كبير من حياتها ولن تستطيع التخلص منه عبر سلسلة من العلاقات التي لا جدوى منها.

استفاقت في اليوم التالي مع إحساس كليل من النعاس وعدم النوم.

الآن، وقد اختيرت الألوان وأنجزت التصاميم، فإن وجودها في منزل لوك سيقتصر على الضرورة فقط، لكي تتأكد من حسن تصاميمها. وكذلك، لا داعي لأن يظهر لوك بشكل مستمر. لكنها لم تندهش حين وصلت إلى المنزل لتجد أنه لم يحضر.

تجولت ميرندا في الغرف، شاردة الذهن، خاصة وأن منظر لوك برفقة النساء الأخريات لا يفارقها. وعلى ما يبدو، لديه صف طويل من النساء.

في لحظة من اللحظات، وجدت نفسها تتصل بجايمس، وتتفق على رؤيته ذلك المساء.

قالت: «ربما نخرج معاً لوجبة طعام.. ثم نعود إلى المنزل لشرب القهوة.. أبي مسافر لبضعة أيام.. وأنا..».

وأخذت نفساً عميقاً، وتركت نظرها يجول على الأراضي الريفية الممتدة أمامها كسجادة مزركشة الألوان..

- .. أنا أحتاج للتكلم مع أحد.. شخص حيادي.

- آه.. مجرد صديقين، كما أفهم؟

- مجرد صديقين.

- عظيم.. لأنك قصيرة جداً بالنسبة لي.. ما رأيك لو مررت بك عند السابعة، وذهبنا إلى مطعم ما قبل أن نعود إلى منزلك لشرب القهوة، ولتبادل الأسرار؟ بإمكانك قول كل شيء عنه لي.

- عمَّن؟

- الرجل الذي حطم قلبك.

وضحك: «لدي ثلاث شقيقات يا ميرندا، واسترقت السمع إلى الكثير من أحاديثهن لهذا أعرف متى تقول المرأة إنها تريد أن تتكلم. وهذا عادة يكون بسبب شخص حطم قلبها».

فكرت وهي تجلس، فيما بعد، في المطعم الإيطالي الصاخب مع جايمس، لو أن ملاك الحب يتجول ليختار ضحاياه بحسن بصيرة أكثر، لأن جايمس كان مستمعاً رائعاً.. ولو كانت مختلفة قليلاً لربما وقعت في حبه، وتجنبت ما هي فيه.

أمضت الساعة تسكب ما في قلبها من حسرة، ووعدت ألا تكون مملة في المرة القادمة التي يلتقيان فيها.

قال جايمس، وهي تردد وصفاً تفصيلياً آخر للبديلة رقم اثنان: «إنه يحاول دفعك إلى الغيرة».

فقالت ميرندا ساخرة: «بالطبع يحاول أن يجعلني أغار. يريد أن يتأكد أنني أدرك كم أريده، وأن يحل نفسه من كل لوم.. يريد أن يثبت أنه مهما كان يريدني، فهذا لا يكفي لجعله يذوي إذا رفضته».

كانت الساعة تقارب التاسعة حين عادا إلى منزلها، وأحست أنها أفضل حالاً مما كانت عليه ساعة خرجت.

دخلا المنزل عبر الباب الأمامي، تقوده نحو غرفة الجلوس تضحك وهي تبحث عن زر النور على الجدار.

وهمست: «والدي مهووس بإطفاء الأنوار».

ورفعت رأسها تضحك بمرح.

- قلت له مليون مرة أن لا معنى للتظاهر بتوفير المال عبر توفير الكهرباء.. لكنه لم يفهم يوماً المنطق في جدالي. لكنك تفهمه جايمس.. أليس كذلك؟

أدركت أنها تطلب أكثر من الرد على ذلك السؤال البسيط.. كانت تطلب منه أن يبرر قرارها بالتخلي عن لوك.

كانت لا تزال تسير أمام جايمس حين وجدت زر الكهرباء، وغرقت غرفة الجلوس بنور ناعم، سبح في منتصف الغرفة الضخمة، وترك الزوايا في شبه ظلام.

قالت بصوت أجش: «صدقاً جايمس.. رائع جداً أن أكون معك. هل نتناول القهوة؟ ثم نتابع سهرتنا إذا لم تكن متعباً».

أشارت له ليدخل الغرفة. وأدركت أن ثمة خطب حين رأت التعبير على وجهه وهو ينظر خلفها.. وجمدت الابتسامة على شفتيه، وقال بصوت منخفض متهدج: «أوه».

استدارت ميرندا ببطء، ووصلها صوت لوك قبل أن تتمكن عيناها

www.elromancia.com

المبهورتان من رؤيته جالساً على مقعد في مؤخرة الغرفة.

ـ ماذا كنت تقولين يا ميرندا؟ على وشك متابعة سهرتك؟ أرجوك، لا تدعيني أقاطعك وسط كلامك.

وكان في كلامه خطر جعلها تستدير متوترة نحو جايمس للدعم، لكن جايمس لم يبدُ كرجل مستعد لمواجهة الخطر.

وقال ببطء: «ربما من الأفضل أن أذهب».

صاحت ميرندا بذعر: «لا!».

وبسرعة، خطت خطوتين إلى داخل غرفة الجلوس، شابكة ذراعيها بطريقة قتالية. ثم تذكرت أن هذا منزلها.. أو على الأقل منزل والدها.. فتقدمت أكثر نحوه، قبل أن تتوقف على بضع خطوات منه.

سألت: «ماذا تفعل هنا؟».

ـ أوليس من الأفضل التخلص من مرافقك قبل أن نبدأ الحديث؟

وشبك يديه خلف رأسه، وأبعد نظره عن ميرندا بما يكفي ليقول لجايمس: «انصرف من هنا أيها الولد».

قالت ميرندا بكثير من الشجاعة: «ما من شيء نخفيه عن جايمس».

ـ أخالفك الرأي.. والآن أيها الولد، هل ستخرج من تلقاء نفسك أم أضطر إلى رميك إلى الخارج؟ ولا تخطىء أبداً، لأنني أكثر من قادر على رميك إلى الشارع.

وكانت خدعة ناجحة، لأن ميرندا سمعت جايمس يقول متوتراً من خلفها: «هل ستكونين على ما يرام يا ميرندا؟».

رد لوك: «ستكونين بخير تماماً».

صاحت بذعر: «لا تصدق كلمة مما يقول! لقد سبق وقلت لك إنه كاذب بالفطرة».

وقف لوك: «إذن.. كنت تتكلمين عني.. أليس كذلك؟».

وتحرك ببطء متعمد نحوهما.

استدارت، ساخطة نحو جايمس، وقالت: «لا بأس.. بمكنك الذهاب».

كان لوك قد أصبح على بُعد خطوتين منها، وفي موقف أفضل: «نصيحة حكيمة».

واستطاعت أن ترى الغضب المشتعل على قسمات وجهه القاتم.

ـ سأعطيك عشر ثوانٍ يا صديقي، ثم أريد سماع الباب الأمامي ينغلق خلفك.

* * *

www.elromancia.com مرمورية

١٠ ـ صفعة وصفقة

استرخى لوك بكسل في مقعده وقد ارتسمت على ثغره ابتسامة الانتصار: «يبدو أنه رحل. لم يصدق كيف هرب حين أصبح الموقف صعباً عليه.. يجب أن يكون خيارك أفضل من هذا، أتعلمين؟ لا شيء أسوأ في علاقة ناشئة من أن يشعر الرجل أن امرأته هي المهاجمة. سمني قديم الطراز، لكنني أعتقد أن أفضل العلاقات هي التي يستطيع الرجل فيها أن يعتبر نفسه الحامي.. والآن.. لماذا لا تجلسين؟».

ـ سمني قديمة الطراز، لكنني أعتقد أن اقتحام بيوت الناس ودخولها عنوة يعتبر جريمة. ولن أجلس!

ـ بدوت متعبة حين وصلت.. الرجال الضعفاء يجدون من السهل أكثر استغلال امرأة مرهقة.

ـ لست مرهقة!

ـ لا؟ يبدو وجهك محمراً.

ـ أنا محمرة غضباً! ماذا تفعل هنا، وكيف دخلت؟

وتابعت طعنه بعينين زرقاوين غاضبتين، ويداها مركزتان بثبات على وركيها.

ـ اجلسي.

ـ لن أجلس..! وتوقف عن إعطائي الأوامر في منزلي! كيف تجرؤ؟ لا أعرف كيف دخلت إلى هنا، لكن..

ـ وكيف تظنين أنني دخلت.. كسرت نافذة وتسللت؟ ونزعت جهاز الإنذار من المنزل؟

ـ حسن جداً.. كيف إذن؟

ـ لن أجيب على أي سؤال قبل أن تجلسي.. كما أنني لن أغادر.

ارتمت ميرندا في مقعد، وملامح الغضب على وجهها، وبالكاد لاحظت نظرة لوك عليها.

قال باختصار: «دخلت من الباب الأمامي. وأطفأت جهاز الإنذار باستخدام شيفرة أعطاني إياها والدك».

ـ والدي..

ـ إنه يعرف أنني هنا.. لماذا ترتدين هكذا؟

ابتعدت ميرندا عن مسار الموضوع، ولم تستطع سوى أن تتمتم بالرد: «أرتدي ماذا؟».

ـ مثل الفتيات المتهورات.

ـ مثل ماذا.. كيف تجرؤ؟

ورفعت يدها إلى عنقها دون وعي، تشد ياقة بلوزتها الصوفية الضيقة.. وأحست بالنبض يخفق في عنقها.

قال: «هل خرجت هذه الليلة وأنت تفكرين بإيقاع أحدهم؟».

وكان صوته منضبطاً، لكنها استشفت فيه ما يدل على أنه بالكاد يسيطر على مشاعره.

ردت بحدة: «ثيابي جيدة تماماً!».

وأكمل: «أرجو أنك لم تكوني غبية بما يكفي لتجعلي هذا الولد الصغير يلمسك..».

ـ الولد الصغير؟ جايمس ليس أبداً ما يمكن أن أدعوه بالولد الصغير!

كانت تشير إلى جسمه الطويل، لكنها استطاعت أن تعرف من

www.elromancia.com

الاكفهرار المفاجيء في عينيه أن تفكيره أساء فهم جملتها البريئة، وراقبته وهو يشد قبضتيه القويتين، وأحست بالرضى.

قالت تعذبه: «وماذا ستفعل لو تركته يلمسني يا لوك؟ لا شيء.. أليس كذلك؟».

وجلست إلى الخلف، وأنزلت يديها إلى جانبيها، إذ لا سبب يدعوها للدفاع عن نفسها أمام شخص لا يحق له أن يكون موجوداً هناك على أي حال.

قال بصوت أجش خافت: «لن أراهن على هذا».

وقبل أن تستطيع التحرك، اقترب منها بحيث اضطرت إلى الانكماش إلى الخلف لتجنب التلامس الجسدي.

- لا تظنيني من معارفك ذوي الأخلاق اللطيفة، ممن يخافون من.. دعينا نقول. عقاب جسدي صغير. أو واحد من الأولاد العابثين الجبناء الذين لا يعرفون شيئاً عن القتال.

سخرت منه ميرندا: «أوه.. أنت قاسٍ جداً».

ثم سألت بصوت مرتجف: «ولماذا يهم هذا على أي حال؟. نحن لسنا مخطوبين يا لوك.. أم أنه يحق لك الخروج مع جميع النساء، بينما أجلس أنا في المنزل ألوك أظافري و..».

وأفكر بك..

- و.. أشاهد التلفزيون.. أنا لست بحاجة إلى من يراقب تحركاتي! أنا حرة، وأستطيع أن أفعل بالضبط ما أشاء، ومع من أريد!

تمتم بصوت مرتجف: «لم أخرج مع جميع النساء».

وساد صمت عميق، دام لحظة. ثم قالت: «حقاً.. وماذا عن هيلين، المرأة التي تدير الرؤوس، وحيثما تذهب تكون رمزاً للحياة؟ وكانديس، العظيمة المهمة التي يمكن أن تساعدني من خلال معارفها؟».

- مجرد لهو.

كانت الكلمة مثل عود ثقاب يرمى بين أوراق شجر يابسة، وقامت ميرندا بفعل شيء لم تفعله في حياتها أبداً.. استدارت إليه، وصفعته على وجهه، فاحمرّ فكه على الفور بعلامات أصابعها، ومد يده يتحسس موضع الألم، وهي تراقبه بتسلية جافة.

ثم تمتمت: «أنا.. أنا آسفة. أنا.. هل آلمتك؟ سأحضر خرقة مبللة..».

وحاولت الوقوف، لكنه شدها لتعود إلى الجلوس بيده الأخرى..

قال: «ألا أستحق هذا؟».

- تستحقه؟

- لأنني كنت غبياً.

نظرت ميرندا إليه فاغرة فاها.

ونظر إليها مؤنباً: «لقد وجهت لي لكمة قوية.. أعتقد أنك لم تفكري يوماً بأخذ دروس في الملاكمة كهواية؟».

- أنا لم أضرب أحداً من قبل في حياتي.

قال ممازحاً: «أعتبر نفسي محظوظاً لأنني الأول.. لقد قلت لي يوماً إنك لست من النوع الغيور. لكن الغيرة إحساس فاضح جداً.. ألا تعتقدين هذا؟ أنا شخصياً أعتقد أنه أكثر الأحاسيس بدائية، فالمرء يثور من لا شيء. ما كان يجب أن أستخدم تلك الكلمة: الإلهاء.. لكن، هكذا كانت هيلين وكانديس.. مجرد لهو، وغير ناجحتين في هذا».

- ماذا تعني؟

- أعني أنني لم أتودد إلى أي واحدة منهن، ولا رغبت في هذا، بالرغم من جاذبيتهما الواضحة.

أحست ميرندا بموجة ارتياح وفرح تجتاحها. وأكمل: «فكرت..».

وصمت وكأنه يفتش عن الكلمات المناسبة: «.. فكرت أنني سأتمكن من النسيان.. نسيانك.. لكن يبدو أنني لم أستطع. وأنت لم

تستطيعي نسياني كذلك.. صحيح؟».

وضحك ضحكة جافة: «لقد رأيت هذا على وجهك حين قابلت هيلين في المنزل.. أتريدين الحقيقة؟ مجرد رؤيتي لذلك التعبير كان كافياً لجعل الأمور تستحق العناء.. لأنني أردتك أن تغاري.. أردت أن تأكلك الغيرة بحيث تدركين كم ترغبين بي وكم تكرهين أن تشاركي أحداً بي، أردتك أن تشعري نحوي بما أشعر نحوك».

ها قد عاد.. وتنهدت ميرندا في نفسها لشدة البؤس. مع ذلك، كانت كلماته كالبلسم المهدىء لفكرها المضطرب. كانت قد نسيت حبهما وانجذابهما الشديد لبعضهما، أمام السلاح الوحيد المتبقي في يدها: مبادئها الأخلاقية.. لكن هذا لم يكن كافياً، ولم يكن كافياً لمحو عمق مشاعرها نحوه.

قال متمتماً بصوت خافت لا يكاد يُسمع: «لم أكن مستعداً لهذا.. حين هبطت عليّ في الكوخ، أول ما فكرت فيه كان التخلص منك في أسرع وقت ممكن.. لقد تصورت أنني قابلت في حياتي ما يكفي من الفتيات أمثالك، لأعرف امرأة جميلة سطحية على بُعد عشرة أميال».

ـ أعرف.. لقد قلت لي هذا.

ـ لقد قلت هذا.. لا؟

نظر إلى وجهها الكئيب وابتسم، راغباً في أن ترد الابتسامة: «ثم أدركت أنني أعرف من أنت، وسمعت والدك يتحدث عنك. إنه فخور جداً بك، ولو أنك لم تستخدمي مواهبك لمصلحتك. على الأقل، ليس حتى الآن».

ـ أوه.. شكراً جزيلاً.. لا شيء مثل الصراحة.

ـ إنها الحقيقة. بطريقة ما بدا وكأن القدر رماك في طريقي، وأبهجتني تلك الفكرة. لقد ألمح لي والدك مرة أنك وأنا يمكن أن.. ماذا أقول.. نكون متناسبين لبعضنا؟ في ذلك الوقت، ضحكت عالياً لمثل هذا

الاقتراح. لكن حين وصلت.. حسن جداً.. تعرفين ما حدث. ولو كنت أي شخص آخر، لما حلمت بتدبير خطة لترويضك.

صمت قليلاً.. ثم تابع: «لكنني أدركت في الحال أن فكرتي المسبقة عنك كانت خاطئة.. وأنك أعمق مما ظننت. وحين قال والدك إنني قد أكون مؤثراً جداً عليك، وجدت نفسي أتمسك بالفكرة. وقلت لنفسي إن هذا تحدٍّ.. لكن فيه شيء آخر.. شيء لم أستطع السيطرة عليه.. ولم أختبر يوماً مثله من قبل مع أي امرأة».

ـ لم أكن أعرف أنك تعرف والدي إلى هذا الحد.

ـ على أساس العمل.. لكننا كنا نتناول العشاء معاً بين حين وآخر. لمجرد تقوية الرابط الذي كان يجمعه بأبي.

تنهد ونظر إليها: «هل تفهمين ما أعني جيداً؟ أنا أحاول ألاّ أبدو مرتبكاً.. وهذا ما تجعلينني أشعر به».

تنهدت ميرندا ووقفت، وتوجهت نحو النافذة: «لا داعي للارتباك».

وأرجعت الستائر السميكة قليلاً لتنظر إلى الخارج، ثم تركتها لتعود مكانها، ولو أنها بقيت حيث هي، تستند إلى إطار النافذة التي أصدرت صوت حفيف المخمل الثقيل وهو يسقط.

ـ لقد أجبرتك فعلاً على مغازلتي.

ونظرت إليه بثبات.. كانت تفهم أن بإمكان كلامه السلس أن يحيك شبكة جديدة من الأمل في داخلها، ولن تترك هذا يحدث. ستكون واقعية، لأن ما يتكلم عنه لا دخل له بالحب.

ـ وهل هذا ما فعلته؟ وأنا الذي ظننت أن لي رأياً في المسألة.

نهض ولحق بها، لكن حتى مع المسافة التي وضعتها بينهما، كانت لا تزال تشعر بالتأثير القوي لشخصيته يلتف حولها مثل قبضة خانقة.

سألت ميرندا مع ضحكة مشدودة: «أي رجل لن يرفض امرأة ترمي نفسها عليه؟».

- هذه المرأة. . .

هزت كتفيها، وهي مصممة على تلخيص ما يسمى بعلاقتهما. لأن وضع هذا في كلمات، لن يترك مجالاً لأفكار رومانسية تتفاعل في داخلها دون إرادتها: «ربما. . إذن، أنت تقول الآن إنني أحيّرك. . لماذا؟».

وعبثت أصابعها بكنزتها الصوفية، وأكملت: «ربما يجب أن يرضي هذا غروري. . أليس كذلك؟ أو ربما انتهى هذا كله لو لم أكن مصممة ديكور ولم يكن لديك منزل يحتاج إلى تصميم. . وربما ساعتها لن يكون لك عذر في أن تجد لي عملاً لإنقاذي من نفسي. ثم، ما كنت لتبقى في صحبتي كي تتذكر بضع ساعات رائعة، مضت منذ دهر. وأن ترغب في تحويل تلك الساعات إلى بضعة أيام، أو أسابيع، أو مهما يلزم من وقت قبل أن يسأم رجل مثلك، ويحتاج أن يفرد جناحيه ويبتعد».

لم تستطع تحمل النظر إلى عينيه، وحدقت خلفه نحو الباب: «وكنت تعرف أنك ستكسب. . أليس كذلك؟ كل ما كان عليك أن تفعل، هو أن تكون صبوراً، وفي النهاية، سأنهار، لأنك استطعت قراءة هذا على وجهي. . ولقد قلت لي هذا بنفسك».

- بحق الله يا ميرندا.

ومرر أصابعه في شعره ينظر إليها بإحباط: «لماذا تجعلين هذا يبدو خسيساً هكذا؟».

- أنا لا أجعل شيئاً يبدو خسيساً. أنا فقط أحاول أن أكون عملية.

- حسن جداً. . توقفي عن هذا. لا فكرة لديك عما مررت به. .

- أستطيع أن أتخيل. . ليال دون نوم. تتساءل عن السبل إلى الإيقاع بي؟ ساعات عذاب وأنت تفكر بالطرق التي توصلك إلى تغيير رأيي!

- كفى.

- لماذا؟

وكانت ميرندا تعرف أنها قد بالغت وقد يقودها ذلك إلى الانهيار

أمامه. . لكن يبدو أنها لا تستطيع منع نفسها.

- أعرف ماذا تريد. . لذا كف عن الاختباء والمراوغة بالحديث المزخرف حول إحساسك بالحيرة والاعتراف بما أحسست به، ومتى؟ لماذا لا تدخل بيت القصيد، لأنك على حق. فالتجاذب لم يتوقف بالنسبة لي أيضاً.

خلعت سترتها، ورمتها دون اهتمام على أحد المقاعد.

- ميرندا. . لا تفعلي هذا!

كان صوته الحاد مثل فرقعة السوط. كانت تشعر بالدموع تتجمع خلف جفنيها. . لكنها لن تبكي. .

كرر بصوت أكثر لطفاً: «لا تفعلي».

سألته بصوت مستسلم صغير: «ولمَ لا؟ هذا ما تريده. . أليس كذلك؟».

- ليس هكذا.

دس إصبعاً تحت ذقنها، ورفع رأسها كي تنظر إليه، وهمس: «أفضل الموت على أن أجعلك تبكين».

قالت بعناد: «أنا لن أبكي».

وأحست به يبتسم: «لكنك تريدين البكاء حبيبتي. . وهذه غلطتي، كنت أعمى».

قالت بصوت منخفض: «لا تتكلم».

أحياناً يمكن للكلمات أن تكون كالخناجر، وهي لا تريد سوى البقاء حيث هي، بقربه تخادع نفسها بأن كل شيء سيكون على ما يرام.

همس في أذنها: «لا تخافي. . أنا لم أقصد أبداً أذيتك. فقط، لم أدرك أنك سوف تؤثرين بي كما حصل، وهذا ما أخافني. كانت حياتي دائماً تحت السيطرة، وكانت تجربة جديدة لي أن أجد نفسي عالقاً في تيار خفي لا أعرف إلى أين سيأخذني. . وكنت سألحق بك، مهما كان

www.elromancia.com مــرومــنسيــة

الأمر.. أجل. كان لديّ عذر لرؤيتك، لكن، لو لم يكن، لفكرت بعذر، لأنني يوم تركت الكوخ، عرفت أنني لن أستطيع العيش من دون وجودك في حياتي».

وأحست ميرندا بجسمها المرتجف يجمد.

وأكمل: «أمضيت تلك الأيام بعد رحيلك أقنع نفسي أنني أحمق.. وأن جاذبيتك ليست مختلفة عن بقية النساء.. لكنني كنت مخطئاً.. فعدت إلى هنا أحمل تصميماتك، كأبله يسعى إلى إثبات المستحيل.. وأردت أن أستعيدك، وأحسست بالغضب لأنك كنت مصممة على حصر علاقتك بي ضمن إطار العمل.. ولن تستطيعي تصور ما أحسست به حين رأيتك مع ذلك الولد الصغير.. أحسست وكأن الكون كله تهدم فوق رأسي.. ولا أريد أن أمر بهذا مرة أخرى.. يا حبي».

وتابع بشوق بالغ:

ـ بقيت أتصور أنني أستطيع التعامل مع هذا بالطريقة التي تعاملت بها مع كل شيء آخر في حياتي. بكفاءة، لكنني كنت على خطأ، وكنت أعمى.. أنا أحتاج إليك ميرندا.. ولم أقل هذا لأي إنسان في حياتي من قبل.. أحتاج إليك، وأريدك، وأحبك.

ـ أنت.. ماذا؟

ـ أحبك.

وتراجع قليلاً لينظر إليها، مبتسماً: «ولقد لزمني وقت لأدرك كم أن هذه الكلمة الصغيرة تستطيع تغيير كل شيء».

* * *

الخاتمة

www.elromanca.com

دخلت ميرندا الغرفة، ولحق لوك بها..

كانت غرفة صغيرة. لها نافذتان تطلان على الحدائق، ملاصقة لغرفة نومهما. كان القصد منها أن تكون مكتباً للطابق العلوي، وأن تستخدم إذا احتاج لوك للعمل ليلاً، ولم يرغب في أن يستخدم مكتبه الضخمة المجهزة جيداً، في الطابق الأرضي.

كانت شمس أواخر الصيف، تتسلل عبر النافذة، وترسل وهجاً ناعماً دافئاً في الغرفة.

تنهدت ميرندا: «لقد أعجبني حقاً ورق الجدران هذا».

ـ يمكننا تركه كما هو.

قالت: «تعرف أننا لن نستطيع.. فهي زرقاء جداً.. وذكورية جداً».

ـ وبماذا تنصحين يا مصممة الديكور الصغيرة؟ ما رأيك باللون البرتقالي؟.

ـ مبهرج قليلاً.. ألا تظن هذا؟

وتشاركا ضحكة تفاهم مشتركة، كنكتة خاصة.

ـ لكنها جيدة جداً حسب التعاليم الصينية، إضافة إلى أن الألوان البراقة تناسب الأولاد الصغار..

ونظرت إلى الغرفة، وبدأت تتخيّل الألوان البرتقالية والصفراء،

وخزانة ملابس صغيرة عليها رسومات. . وهناك تماماً. . المهد. ورأت طفلاً صغيراً ينام فيه، له شعر أسود أجعد، كبر ليصبح طفلاً يسير بخطى مترنحة، وسمعت صوت القدمين الصغيرتين المسرعتين تركضان في المنزل. . ووضعت يدها على بطنها الذي بدأ ينتفخ بعد خمسة أشهر من الحمل، وغطت يدا لوك يدها.

ونظرا معاً في الغرفة، وأفكارهما كفكر واحد. . يشكلان الصورة ذاتها.

أدارها إليه، وتلمس شعرها الطويل يبعده عن وجهها، وابتسم بحنان: «هل قلت لك يوماً كم أحبك؟».

- كل يوم.

- إذن ألن تمانعي في سماع هذا مرة أخرى؟.

- أبداً.

- أحبك. . سيدة دوكروا.

***

www.elromancia.com مرمولية